

ألف ليلة وليلة
حكاية علاء الدين أبو الشامات

حكاية علاء الدين أبو الشامات

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر بمص يقال له شمس الدين وكان من أحسن التجار وأصدقهم مقالاً وهو صاحب خدم وحشم وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاهيندر التجار بمصر وكان معه زوجة يحبها وتحبه إلا أنه عاش معها أربعين عاماً ولم يرزق منها بنت ولا ولد فقعد يوماً من الأيام في دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم له ولد وولدان أو أكثر وهم قاعدون في دكاكين مثل آبائهم وكان ذلك اليوم يوم جمعة. فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة ولما طلع أخذ امرأة المزين فرأى وجهه فيها وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم نظر إلى لحيته فرأى البياض غطى السواد وتذكر أن الشيب نذير الموت وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئه فتغتسل وتصلح من شأنها له فدخل عليها فقالت له: مساء الخير فقال لها: أنا ما رأيت الخير وكانت قالت للجارية: هاتي سفر العشاء فأحضرت الطعام وقالت له: تعش يا سيدي فقال لها ك ما أكل شيئاً واعرض عن السفر بوجهه فقالت له: ما سبب ذلك وأي شيء أحزنك؟ فقال لها: أنت سبب حزني. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التسعين بعد المنتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن شمس الدين قال لزوجته: أنت سبب حزني فقالت له: لأي شيء؟ فقال لها: إني فتحت دكاني في هذا اليوم ورأيت كل واحد من التجار له ولد أو ولدان أو أكثر وهم قاعدون في الدكاكين مثل آبائهم فقلت لنفسي: إن الذي أخذ أباك ما يخليك وليلة دخلت بك حلفتيني أنني ما أتزوج عليك ولا أتسرى بجارية حبشية ولا رومية ولا غير ذلك من الجوارى ولم آت ليلة بعيداً عنك والحالة أنك عاقر والنكاح فيك كالنحت في الحجر فقالت: اسم الله على أن العاقبة منك ما هي مني لأن بيضك رائق. فقال لها: وما شأن الذي بيضه رائق؟ فقالت: هو الذي لا يحبل النساء وهو لاجيء بالولاد، فقال لها: وأين معكر البيض وأنا أشتريه لعله يعكر بيضي؟ فقالت له: فتش عليه عند العطارين، فبات التاجر وأصبح متندماً حيث عاير زوجته وندمت هي حيث عايرته، ثم توجه إلى السوق فوجد رجلاً عطاراً فقال له: السلام عليكم فرد السلام فقال له: هل يوجد عندك معكر البيض؟ فقال له: كان عندي وجبر ولكن أسأل جاري فدار يسأل حتى سأل جميع العطارين وهم يضحكون عليه، وبعد ذلك رجع إلى دكانه وقعد فكان في السوق نقيب الدالين وكان رجلاً حشاشاً يتعاطى الأفيون والبرش ويستعمل الحشيش الأخضر وكان ذلك النقيب يسمى الشيخ محمد سمس وكان فقير الحال وكانت عادته أن يصبح على التاجر في كل يوم فجاءه على عادته وقال له: السلام عليك فرد عليه السلام وهو مغتاض. فقال له: يا سيدي ما لك مغتاضاً؟ فحكى له جميع ما جرى بينه وبين زوجته وقال له: لي أربعين سنة وأنا متزوج بها ولم تحبل مني بولد ولا ببنت وقالوا لي: إن سبب عدم حبلها منك أن بياضك رائق ففتشت على شيء أعكر به بيضي فلم أجده، فقال له: يا سيدي أنا عندي معكر البيض فما تقول فيمن يجعل زوجتك تحبل منك بعد هذه الأربعين سنة التي مضت، فقال له التاجر: إن غعلت هذا فأنا أحسن إليك وأنعم عليك، فقال له: هات لي ديناراً فقال له: خذ هذين الدينارين، فأخذهما وقال: هات هذه السلطانية الصيني، فأعطاه السلطانية، فأخذها وتوجه إلى بياح الحشيش وأخذ منه المكرر الرومي والحبهان والزنجبيل والفلفل الأبيض والسقنور الجبلي ودق الجميع وغلاهم بالزيت الطيب وأخذ ثلاث أوراق حصا لبان ذكر وأخذ مقدار قرح من الحبة السوداء ونقعه وعمل جميع ذلك معجوناً بالعسل النحلي وحطه في السلطانية ورجع بها إلى التاجر وأعطاهها له وقال: هذا معكر البيض فينبغي أن تأخذ منه على رأس الملوقة بعد أن تأكل اللحم الضاني البيتي وتكثر له الحرارة والبهارات وتتعشى وتشر بالسكر المكرر. فأحضر التاجر جميع ذلك وأرسله إلى زوجته وقال لها: اطبخي ذلك طبخاً جيداً وخذي معكر البيض واحفظيه عندك حتى أطلبه ففعلت ما أمرها به ووضعت له الطعام فتعشى، ثم غنه طلب السلطانية فأكل بقيتها وواقع زوجته ففعلت منه تلك الليلة ففات عليها الشهر الأول والثاني والثالث ولم ينزل عليها الدم ففعلت أنها ثم وقت حملها ولحقها الطلق وقامت الأفراح فقاست الداية المشقة في الخلاص ورقته باسم محمد وعلي وكبرت وأذنت في أذنه ولفته وأعطته لأمه فأعطته ثديها وأرضعته فشرب وشبع ونام، وأقامت الداية عنده ثلاثة أيام حتى عملوا الحلاوة ليفرقوها في اليوم السابع ثم رشوا ملحاً ودخل التاجر وهنا زوجته بالسلامة وقال لها: أين ودیعة الله؟ فقدمت له مولوداً بديع الجمال صنع المدير الموجود وهو ابن سبعة أيام ولكن الذي ينظره يقول عليه أنه ابن عام، فنظر التاجر في وجهه فرأه بديراً مشرقاً وله شامات على الخدين، فقال لها: ما سميت به؟ فقالت له: لو كان بنتاً كنت سميتها وهذا ولد فلا يسميه إلا أنت، وكان أهل ذلك الزمن يسمون أولادهم بالفال، فبينما هم يتشاورون في الاسم وإذا بواحد يقول: يا سيدي علاء الدين فقال لها نسمة علاء الدين أبي الشامات ووكل به المراضع والدايات فشرب اللبن عامين وطموه فكبر وانتشى وعلى الأرض مشى، فلما بلغ من العمر سبع سنين أدخلوه تحت طابق خوفاً عليه من العين وقال هذا لا يخرج من الطابق حتى تطلع لحيته ووكل به جارية وعبداً فصارت الجارية تهيء له السفارة والعبد يحملها إليه ثم إنه طاهره وعمل له وليمة عظيمة ثم بعد ذلك أحضر له فقيهاً يعلمه فعمله الخط والقرآن والعلم إلى أن صار ماهراً وصاحب معرفة فاتفق أن العبد أوصل إليه السفارة في بعض الأيام ونسي الطابق مفتوحاً فطلع علاء الدين من الطابق ودخل على أمه وكان عندها محضر من أكابر النساء.

فبينما النساء يتحدثن مع أمه وإذا هو داخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله فحين رأيته النسوة غطين وجوههن وقلن لأمه: الله يجازيك يا فلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الأجنبي أما تعلمين أن الحياء من الإيمان؟ فقالت لهن: سمين الله إن هذا ولدي وثمره فؤادي وابن شاه بندر التجار شمس الدين ابة الدارة والقلادة والقشفة واللبانة فقلن لها: عمرنا ما رأينا لك ولداً فقالت: إن أباه خاف عليه من العين فجعل مرباه في طابق تحت الأرض. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الحادية والتسعين بعد المنتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أم علاء الدين قالت للنسوة: إن أباه خاف عليه من العين فجعل مرباه في طابق تحت الأرض فلعل الخادم نسي الطابق مفتوحاً فطلع منه ولم يكن مردانا أن يطلع منه حتى تطلع لحيته، فهناها النسوة بذلك وطلع الغلام من عند النسوة إلى حوش البيت ثم طلع المقعد وجلس فيه، فبينما هة جالس وإذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة أبيه فقال لهم علاء الدين: أين كانت هذه البغلة؟ فقالوا له: نحن أوصلنا أباك إلى الدكان وهو راكب عليها وجئنا بها. فقال لهم: أي شيء صنعه أبي؟ فقالوا إن أباك شاه بندر التجار بأرض مصر وهو سلطان أولاد العرب. فدخل علاء الدين على أمه وقال له: يا أمي ما صناعة أبي فقالت له: يا ولدي إن أباك تاجر وهو شاه بندر التجار بأرض مصر وسلطان أولاد العرب وعبيده لا تشاوره في البيع إلا على البيعة التي تكون أقل ثمنها ألف دينار وأما البيع التي تكون بتسعمائة دينار فأقل فإنهم لا يشاورنه عليها بل يبيعونها بأنفسهم ولا يأتي متجر من من بلاد الناس قليلاً أو كثيراً إلا ويدخل تحت يده ويتصرف فيه كيف يشاء ولا ينحزم متجراً ويروح بلاد الناس إلا ويكون من بيت أبيك والله تعالى أعطى أباك يا ولدي مالا كثيراً لا يحصى. فقال لها: يا أمي الحمد لله الذي جعلني ابن سلطان أولاد العرب ووالدي شاه بندر التجار ولأي شيء تجطونني في الطابق وتتركوني محبوساً فيه؟ فقالت له: يا ولدي نحن ما حطيناك في الطابق إلا خوفاً عليك من أعين الناس فإن العين حق وأكثر أهل القبور من العين، فقال لها: يا أمي وأين المفر من القضاء والحذر لا يمنع القدر والمكتوب ما منه مهروب وإن الذي أخذ جدي لا يترك أبي فإنه عاش اليوم وما يعيش غداً وإذا مات أبي وطلعت أنا علاء الدين ابن التاجر شمس الدين لا يصدقني أحد من الناس، والإختبارية يقولون عمرنا ما رأينا لشمس الدين ولداً ولا بنتاً فينزل بيت المال ويأخذ مال أبي، ورحم الله من قال:

ويأخذ أنذال الرجال نساءه

يموت الرجل ويذهب ماله

فأنت يا أمي تكلمين أبي حتى يأخذني معه إلى السوق ويفتح لي دكاناً وأقعد فيه ببضائع ويعلمني البيع والشراء والأخذ والعطاء فقالت له: يا ولدي إذا حضر أبوك أخبرته بذلك، فلما رجع التاجر إلى بيته وجد ابنه علاء الدين أبي الشامات قاعداً عند أمه فقال لها: لأي شيء أخرجتيه من الطابق؟ فقالت له: يا ابن عمي أنا ما أخرجته ولكن الخدم نسوا الطابق مفتوحاً فبينما أنا قاعدة وعندي محضر من أكابر النساء وإذا به دخل علينا وأخبرته بما قال ولده فقال له: يا ولدي في غد إن شاء تعالى أخذك معي إلى السوق ولكن يا ولدي قعود الأسواق والدكاكين يحتاج إلى الأدب والكمال في كل حال، فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام أبيه.

فلما أصبح الصباح أدخله الحمام وألبسه بدلة تساوي جملة من المال، ولما أظفروا وشربوا الشرابات ركب بغلته واركب ولده بغلة وأخذه وراءه وتوجه به إلى السوق فنظر أهل السوق شاه بندر التجار مقبلاً ووراءه غلام كأن وجهه القمر في ليلة أربعة عشر فقال واحد منهم لرفقيه: انظر هذا الغلام الذي وراء شاه بندر التجار وقد كنا نظن به الخير وهو مثل الكرات سائب وقلبه أخضر، فقال الشيخ محمد سمس المتقدم ذكره للتجار: نحن ما بقينا نرضى به أن يكون شيخاً علينا أبداً، وكان من عادة شاه بندر التجار أنه لما يأتي من بيته في الصباح ويقعد في دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون شاه بندر التجار ويصبجون عليه ثم ينصرف كل واحد منهم إلى دكانه.

فلما قعد شاه بندر التجار في دكانه ذلك اليوم على عادته لم يأت إليه التجار عادته فنأدى النقيب وقال له: لأي شيء لم يجتمع التجار على جري عادتهم؟ فقال له: أنا ما أعرف نقل الفتن، إن التجار اتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرأون لك فاتحة فقال له: ما سبب ذلك؟ فقال له: ما شان هذا الولد الجالس بجانبك وانت إختيار ورئيس التجار، فهل هذا الولد هو مملوكك أو يقرب لزوجتك وأظن أنك تعشقه وتميل إلى الغلام. فصرخ عليه وقال له: اسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدي. فقال له: عمرنا ما رأينا لك ولداً، فقال له: لما جئتني بمعكر البيض جملت زوجتي وولدتها ولكن من خوفي عليه من العين ربيته في طابق تحت الأرض وكان مرادي أنه لا يطلع حتى يمسك لحيته بيده فما رضيت أمه وطلب مني أن أفتح له دكاناً وأحط عنده بضائع وأعلمه البيع والشراء، فذهب النقيب إلى التجار وأخبرهم بحقيقة الأمر فقاموا كلهم بصحبته وتوجهوا إلى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرأوا الفاتحة وهاؤه بذلك الغلام وقالوا له: ربنا يبقي الأصل والفرع ولكن الفقير

منا لما ياتيه ولداً أو بنتاً لا بد أن يصنع لأخوانه دست عصيدة ويعزمة معارفه وأقاربه وأنت لم تعمل ذلك فقال لهم: لكم علي ذلك ويكون اجتماعنا في البستان.

و أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثانية والتسعين بعد المئتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن شاه بندر التجار وعد التجار بالسماط وقال لهم: يكون اجتماعنا في البستان.

فلما أصبح الصباح أرسل الفراش للقاعة والقصر الذين في البستان وأمره بفرشهما وأرسل آلة الطبخ من خرفان وسمن وغير ذلك مما يحتاج إليه الحال وعمل سماطين سماطاً في القصر وسماطاً في القاعة وتحرم التاجر شمس الدين وتحرم ولده علاء الدين وقال له: يا ولدي إذا دخل الرجل الشائب فأنا اتلقاه وأجلسه على السماط الذي في القصر وأنت ولدي إذا دخل الولد الأمر فخذ به القاعة وأجلسه على السماط فقال له: لأي شيء يا أيي تعمل سماطين واحد للرجال وواحد للأولاد؟ فقال: يا ولدي إن الأمر يستحي أن يأكل عند الرجال فاستحسن ذلك ولده فلما جاء التجار صرل شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم في القصر وولده علاء الدين يقابل الأولاد ويجلسهم في القاعة ثم وضعوا الطعام وشرّبوا الشراب وأطلقوا البخور ثم قعد الإختيارية في مذاكرة العلم والحديث وكان بينهم تاجر يسمى محمود البلخي وكان مسلماً في الظاهر ومجوساً في الباطن وكان يبغى الفساد ويهوى الأولاد فنظر إلى علاء الدين نظرة أعقبته ألف حسرة وعلق له الشيطان جوهرة في وجهه فأخذه به الغرام والوجد والهيام وكان ذلك التاجر الذي اسمه محمود البلخي يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين. ثم إن محمود البلخي قام يتمشى وانعطف نحو الأولاد فقاموا لملتقاه وكن علاء الدين قمام بزيل الضرورة فالتقت التاجر محمود إلى الأولاد وقال لهم: إن طيبتم خاطر علاء الدين علي السفر مغي أعطيت كل واحد منكم بدلة تساوي جملة من المال ثم توجه منعندهم إلى مجلس الرجال فبينما الأولاد جالسون وإذا بعلاء الدين أقبل عليهم فقاموا لملتقاه وأجلسوه بينهم في صدر المقام فقام ولد منهم وقال لرفيقه: يا سيدي حسن أخبرني برأس المال الذي عندك تتبع فيه وتشتري من أين جاءك؟ فقال له: أنا لما كبرت ونشأت وبلغت مبلغ الرجال قلت لأبي: يا والدي أحضر لي متجراً فقال: يا ولدي أنا ما عندي شيء ولكن رح خذ مالا من واحد تاجر واتجر به وتعلم البيع والشراء والأخذ والعطاء فتوجهت إلى واحد من التجار واقتضت منه ألف دينار فاشترت بهما قماشاً وسافرت به إلى الشام فربحت المثل مثلين ثم أخذت من الشام وسافرت به إلى بغداد وبعته فربحت المثل مثلين ولم أزل حتى صار رأس مالي نحو عشرة آلاف دينار وصار كل واحد من الأولاد يقول لرفيقه مثل ذلك إلى أن دار الدور وجاء الكلام إلى علاء الدين أبي الشامات فقالوا له: وانت يا سيدي علاء الدين؟ فقال لهم: أنا تربيت في طابق تحت الأرض وطلعت منه في هذه الجمعة وأنا أروح الدكان وأرجع منه إلى البيت، فقالوا له: أنت متعود على قعود البيت ولا تعرف لذة السفر، والسفر ما يكون إلا للرجال، فقال لهم: أنا ما لي حاجة بالسفر وليس للراحة قيمة فقال واحد منهم لرفيقه: هذا مثل السمك إن فارق الماء مات ثم قالوا له: يا علاء الدين ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل المكسب فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الولاد وهو باكي العين فقالت له أمه: ما بيكيك يا ولدي؟ فقال لها: إن أولاد التجار جميعاً يعايرونني وقالوا لي: ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثالثة والتسعين بعد المئتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال لوالدته: إن أولاد التجار عايروني وقالوا لي: ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم والدنانير فقالت أمه: يا ولدي هل مرادك السفر؟ قال: نعم، فقالت له: تسافر إلى أي البلاد؟ فقال لها: إلى مدينة بغداد فإن الإنسان يكسب فيها المثل مثلين، فقالت: يا ولدي إن أباك عنده مال كثير وإن لم يجهز لك متجراً من ماله فأنا أجهز لك متجراً من عندي، فقال لها: خير البر عاجله فإن كان معروفاً فإن هذا وقته فاحضرت العبيد وأرسلتهم إلى الذين يحزمون القماش وفتحت حاصلها وأخرجت منه قماشاً وحزموا عشرة أحمال. هذا ما كان من أمر أمه.

و أما ما كان من أمر أبيه فإنه التقت فلم يجد ابنه علاء الدين في البستان فسأل عنه فقالوا انه ركب بغلته وراح إلى البيت، فركب وتوجه خلفه فلما دخل منزله رأى أحمالاً محزومة فسأل عنها فأخبرته زوجته بما وقع من أولاد التجار لولده علاء الدين فقال له: يا ولدي خيب الله الغربية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سعادة المرء أن يرزق في بلده. وقال الأقدمون: دع السفر ولو كان ميلاً، ثم قال لولده: عل صممت على السفر ولا رجع عنه؟ فقال له ولده: لا بد لي من السفر إل بغداد بمتجر وإلا قلت ثيابي وليس ثياب الدراويش وطلعت سائحاً في البلاد، فقال له: ما أنا محتاج ولا معدم بل عندي منال كثير وأراه جميع ما عنده من المال والمتاجر والقماش وقال له: أنا عندي لكل بلد ما يناسبها من القماش والمتاجر وأراه من جمل ذلك أربعين حملاً محزومين ومكتوباً على كل حمل ثمنه ألف دينار، ثم قال: يا ولدي خذ الأربعين حملاً والعشرة أحمال التي من عند أمك

وسافر مع سلامة الله تعالى ولكن يا ولدي أخاف عليك من غابة في طريقك تسمى غابة الأسد وواد هناك يقال له واد الكلاب فإنهما تراوح فيهما الأرواح بغير سماح، فقال له: لماذا يا والدي؟ فقال: من بدوي قاطع الطريق يقال له: عجلان فقال له: الرزق رزق الله وإن كان لي فيه نصيب لم يصبني ضرر، ثم ركب علاء الدين مع والده وسار إلى سوق الدواب وإذا بعكام نزل من فوق بغلته وقيل يد شاه بندر التجار وقال له: والله زمان يا سيدي ما استقضينا في تجارات، فقال له: لكل زمان دولة ورجال ورحم الله من قال:

وشيوخ في جهات الأرض يمشي	ولحيته تقابل ركبتيه
فقلت له لماذا أنت محن	فقال وقد لوى نحوي يديه
شبابي في الثرى قد ضاع مني	وهاأنا منحن بحثاً عليه

فلما فرغ من شعره قال: يا مقدم ما مراده السفر إلا ولدي هذا فقال له العكام: الله يحفظه عليك، ثم إن شاه بندر التجار عاهد بين ولده وبين العكام وجعله ولده وأوصاه عليه وقال له: خذ هذه المائة دينار لغلمانة ثم إن شاه بندر التجار اشترى ستين بغلاً وستر السيد عبد القادر الجيلاني وقال له: يا ولدي أنا غائب وهذا أبوك عوضاً عني وجميع ما يقوله لك طوعه فيه، ثم توجه بالبغال والغلمان وعملوا في تلك الليلة ختمة ومولد الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولما أصبح الصباح أعطى شاه بندر التجار لولده عشرة آلاف دينار وقال له: إذا دخلت بغداد ولقيت القماش رائجاً معه، فبعه وإن لقيت حاله واقفاً اصرف من هذه الدنانير، ثم حملوا البغال وودعوا بعضهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكنت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الرابعة والتسعين بعد المئتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين والعكام لما أمروا العبيد أن يحملوا البغال ودعوا شاه بندر التجار والد علاء الدين وساروا حتى خرجوا من المدينة وكان محمود البلخي تجهز للسفر إلى جهة بغداد، وأخرج حموله ونصب صوابينه خارج المدينة وقال في نفسه: ما تحظى بهذا الولد إلا في الخلاء لأنه لا واهشي ولا رقيب يعكر عليك وكان لأب الولد ألف دينار عند محمود البلخي بقية معاملة فذهب إليه وودعه وقال له: أعط ألف دينار لولدي علاء الدين وأوصاه عليه وقال: إنه مثل ولدك، فاجتمع علاء الدين بمحمود الذي قدم لعلاء الدين المأكول والمشرب هو وجماعته، ثم توجهوا للسفر وكان للتاجر محمود البلخي أربعة بيوت واحد في مصر وواحد في الشام وواحد في حلب وواحد في بغداد ولم يزلوا مسافرين في البراري والقفار حتى أشرفوا على الشام فأرسل محمود عبده إلى علاء الدين فرآه قاعداً يقرأ فتقدم وقيل يديه فقال: ما تطلب؟ فقال له: سيدي يسلم عليك ويطلبك لعزومتك في منزله، فقال له: لما أشاور أبي المقدم كمال الدين العكام فشاوره على الرواح فقال له: لا ترح، ثم سافروا من الشام إلى أن دخلوا إلى حلب فعمل محمود البلخي عزومة وأرسل يطلب علاء الدين فشاوره المقدم فمنعه وسافروا من حلب إلى أن بقي بينهم وبين بغداد مرحلة فعمل محمود البلخي عزومة وأرسل بطلب علاء الدين، فشاوره المقدم فمنعه، فقال علاء الدين: لا بد لي من الرواح، ثم قام وتقلد بسيف تحت ثيابه وسار إلى أن دخل على محمود البلخي فقام لملقاه وسلم عليه وأحضر له سفرة عظيمة فأكلوا وشربوا وغسلوا أيديهم ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ منه قبلة فلاقاه في كفه وقال له: ما مرادك أن تعمل؟ فقال: إني أحضرتك ومرادي أعمل معك خطأ في هذا المجال ونفسر قول من قال:

أيمكن أن تحي لنا لحظه	كجلب شويهة أو شي بيضه
وتأكل ما تيسر من خبيز	وتقبض ما تحمل من فضيضة
وتحمل ما تشاء بغير عسر	شبيراً أو فتيراً أو قبيضة

ثم إن محمود البلخي هم بعلاء الدين وأراد أن يفترسه فقام علاء الدين وجرده سيفه وقال له: واشيبتاه أما تخشى الله وهو شديد المحال ولم تسمع قول من قال:

احفظ مشييك من عيب يدينسه	إن البياض سريع الحمل للدنس
--------------------------	----------------------------

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود: إن هذه البضاعة أمانة الله لا تباع، ولو بعته لغريك لبعته لك بالفضة، ولكن والله يا خبيث ما بقيت أرافك أبداً، ثم رجع علاء الدين إلى المقدم كمال الدين وقال له: إن هذا رجل فاسق فأنا ما بقيت أرافقه أبداً، ولا أمشي معه في الطريق فقال له: يا ولدي قلت لك لا تروح عنده، ولكن يا ولدي إن افترقنا منه نخشى على أنفسنا التلف فخلنا قفلاً واحداً.

فقال له: لا يمكن أن أرافقه في الطريق أبداً ثم حمل علاء الدين حموله وسار هو ومن معه إلى أن نزلوا في واد

وأرادوا أن يحطوا فيه فقال العكام: لا تحطوا هنا واستمروا رائحين وأسرعوا في المسير لعلنا نحصل ببغداد قبل أن تغفل أبوابها فإنهم لا يفتحونها ولا يقفلونها إلا بعد الشمس خوفاً على المدينة أن يملكها الروافض ويرموا كتب العلم في دجلة، فقال له: يا والدي أنا ما توجهت بهذا المتجر إلى هذا البلد لأجل أن أتسبب بل لأجل الفرجة على بلاد الناس، فقال له: يا والدي نخشى عليك وعلى مالك من العرب، فقال له علاء الدين: عل أنت خادم أو مخدوم؟ أنا ما أدخل ببغداد إلا في وقت الصباح لأجل أن تنتظر أولاد ببغداد إلى متجري ويعرفونني فقال له العكام: افعل ما تريد فأنا أنصحك وأنت تعرف خلاصك فأمرهم علاء الدين بتنزيل الأحمال عن البغال فأنزلوا الأحمال ونصبوا الصيوان واستمروا مقيمين إلى نصف الليل. ثم طلع علاء الدين يزيل ضرورة فرأى شيئاً يلمع على بعد فقال للعكام: يا مقدم ما هذا الشيء الذي يلمع؟ فتأمل العكام وحقق النظر فرأى الذي يلمع أسنة رماح وسيوفاً بدوية، وإذا بهم عرب ورئيسهم يسمى شيخ العرب عجلان أبو ناب، ولما قرب العرب منهم ورأوا حمولهم قالوا لبعضهم: يا ليلة الغنيمة. فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين العكام: حاس يا أقل العرب فلطشه أبو ناب بحريته في صدره فخرجت تلمع من ظهره فوق على باب الخيمة قتيلاً فقال السقا: حاس يا أخس العرب فضره بسيف على عاتقه فخرج يلمع من عاتقه ووقع قتيلاً، كل هذا جرى وعلاء الدين واقف ينظر. ثم إن العرب جالوا وصلوا على القافلة فقتلوه ولم يبق أحد من طائفة علاء الدين ثم حملوا الأحمال على ظهور البغال وراحوا فقال علاء الدين لنفسه: ما يقتلك إلا بغلتك وبدلتك هذه فقام وقطع البدلة ورماها على ظهر البغلة وصار بالقميص واللباس فقط والنقت قدماه إلى باب الخيمة فوجد بركة دم سائلة من القتلى فصار يتمرغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالتقيل الغريق في دمه. هذا ما كان من أمره.

و أما ما كان من أمر شيخ العرب عجلان فإنه قال لجماعته: يا عرب هذه القافلة داخله من مصر أو خارجة من بغداد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الخامسة والتسعين بعد المئتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أن البدوي لما قال لجماعته: يا عرب هذه القافلة داخله من مصر أو خارجة من بغداد فقالوا له: داخله من مصر إلى بغداد فقال لهم: ردوا على القتلى لأنني أظن أن صاحب هذه القافلة لم يمت فرد العرب على القتلى وصاروا يردون القتلى بالطعن والضرب إلى أن وصلوا إلى علاء الدين وكان قد ألقى نفسه بين القتلى. فلما وصلوا إليه قالوا: أنت جعلت نفسك ميتاً فنحن نكمل قتلك وسحب البدوي الحربة وأراد أن يغرزها في صدر علاء الدين فقال علاء الدين: يا بركتك يا سيدتي نفيسة هذا وقتك وإذا بعقرب لدغ البدوي في كفه، فصرخ وقال: يا عرب تعالوا إلي فإني لدغت ونزل من فوق ظهر فرسه فأثاه رفاقوه وأركبوه ثانية على فرسه وقالوا له: أي شيء أصابك؟ فقال لهم: لدغني عقرب، ثم أخذوا القافلة وساروا. هذا ما كان من أمرهم.

و أما ما كان من أمر محمود البلخي فإنه أمر بتحميل الأحمال وسافر إلى أن وصل إلى غابة الأسد فوجد غلمان علاء الدين كلهم قتلى وعلاء الدين نائماً وهو عريان بالقميص واللباس فقط فقال له: من فعل بك هذه الفعال وخالك في أسوأ حال؟ فقال له: العرب؟ فقال: يا ولدي فذاك البغال والأموال وتسل بقول من قال:

إذا سلمت هام الرجال من الردى فما المال إلا مثل قص الأظافر

ولكن يا ولدي انزل ولا تخشى بأساً فنزل علاء الدين من شباك الصهريج وأركبه بغلة وسافروا إلى أن دخلوا مدينة بغداد في دار محمود البلخي فأمر بدخول علاء الدين الحمام وقال له: المال والأحمال فداؤك يا ولدي وإن طاوعتني أعطيك قدر مالك وأحمالك مرتين وبعد طلوعه من الحمام أدخله قاعو مزركشة بالذهب لها أربعة لواقين، ثم أمر بإحضار سفرة فيها جميع الأطعمة فأكلوا وشربوا ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ من خده قبلة فلقبها علاء الدين بكفه وقال له: هل أنت إلى الآن قابح لصلالك أما قلت لك: أنا لو كنت بعنت هذه البضاعة لغيرك بالذهب ما كنت أبيعها لك بالفضة؟ فقال: أنا ما أعطيتك المتجر والبغلة والبدلة إلا لأجل هذه القضية فإنني من غرامي بك في خيال والله در من قال:

حدثنا عن بعض أشياخه
لا يشتقي العاشق مما به
أبو بلال شيخنا عن شريك
بالضم والتقبيل حتى ينيك

فقال له علاء الدين: إن هذا شيء لا يمكن أبداً فخذ بدلتك وبغلتك وافتح الباب حتى أروح، ففتح الباب فطلع علاء الدين والكلاب تنبح وراءه وسار فبينما هو سائر إذ بباب مسجد فدخل في دهليز المسجد واستكن فيه وإذا بنور مقبل عليه فتأمل فرأى فانوسين في يد عبيدين قدام اثنين من التجار واحد منهما إختيار حسن الوجه، والثاني شاب فسمع الشاب يقول لإختيار: بالله يا عمي أن ترد لي بنت عمي. فقال له: أما نهيتك مراراً عديدة وانت جاعل الطلاق مصحفك؟ ثم إن الإختيار التقت على يمينه فرأى ذلك الولد كأنه قلقة قمر فقال: يا غلام من

أنت؟ فقال له: أنا علاء الدين بن شمس الدين شاه بندر التجار بمصر وتمنيت على والدي المتجر فجهز لي خمسين حملاً من البضاعة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السادسة والتسعين بعد المئتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين: فجهز لي خمسين حملاً من البضاعة وأعطاني عشرة آلاف دينار، وسافرت حتى وصلت إلى غابة الأسد فطلع علي العرب وأخذوا مالي وأحمالي فدخلت هذه المدينة وما أدري أين أبيت فرأيت هذا المحل فاستكنت فيه، فقال له: يا ولدي ما تقول في أني أعطيك ألف دينار وبدلة بألف دينار، فقال له علاء الدين: على أي وجه تعطيني ذلك يا عمي؟ فقال له: إن هذا الغلام الذي معي ولم يكن لأبيه غيره وأنا عندي بنت لم يكن لي غيرها تسمى زبيدة العودية وهي ذات حسن وجمال فزوجتها له وهو يحبها وهي تكرهه فحنت يمينه بالطلاق الثلاث فما صدقت زوجته بذلك حتى افترقت منه فشاروا علي جميع الناس أني أردتها له فقلت له: هذا لا يصح إلا بالمحلل واتفقت معه على أن نجعل المحلل له واحداً غريباً لا يعايره أحد بهذا الأمر وحيث كنت أنت غريباً فتعال معنا لكتب كتابك عليها وتبيت عندها هذه الليلة وتصبح تطلقها ونعطيك ما ذكرته لك، فقال علاء الدين في نفسه: مبيتي ليلة مع عروس في بيت على فراش أحسن من مبيتي في الأزقة والدهاليز فسار معهما إلى القاضي.

فلما نظر القاضي لإلى علاء الدين وقعت محبته في قلبه وقال لأبي البنت: أي شيء مرادكم؟ فقال: مرادنا أن نعمل هذا محلاً لبنتنا ولكن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة آلاف دينار فإذا بات عندها وأصبح طلقها أعطيناها بدلة بألف دينار فعقدوا العقد على هذا الشرط وأخذ أبو البنت حجة بذلك ثم أخذ علاء الدين معه وألبسه البدلة وساروا به إلى أن وصلوا دار ابنته، فأوقفه على باب الدار ودخل على ابنته وقال لها: خذي حجة صداقك، فإني كتبت على شاب مليح يسمى علاء الدين أبي الشامات فتوصي به غاية الوصاية، ثم أعطها الحجة وتوجه إلى بيته.

و اما ابن عم البنت فإنه كان له قهرمانه تتردد على زبيدة العودية بنت عمه وكان يحسن إليها فقال لها: يا أمي إن زبيدة بنت عمي متى رأت هذا الشاب المليح لا تقبلني بعد ذلك فأنا أطلب منك أنتعلمي حيلة وتمنعي الصبية عنه فقالت له ك و حياة شبابك ما أخليه يقربها. ثم إنها جاءت لعلاء الدين وقالت له: يا ولدي أنصحك بالله تعالى فاقبل نصيحتي ولا تقرب تلك الصبية ودعها تنام وحدها وتلمسها ولا تدن منها، فقال: لأي شيء؟ فقالت له: إن جسدها ملآن بالجذام وأخاف عليك منها أنتعدي شبابك المليح فقال لها: ليس لي بها حاجة ثم انتقلت إلى الصبية وقالت لها مثل ما قالت لعلاء الدين فقالت لها: لا حاجة لي به بل أدعه ينام وحده ولما يصبح الصباح يروح لحال سبيله.

ثم دعت الجارية وقالت لها: خذي سفرة الطعام وأعطيتها له يتعشى فحملت الجارية سفرة الطعام ووضعته بين يديه فاكل حتى اكتفى، ثم قعد وقرأ سورة يس بصوت حسن فصغت له الصبية فوجدت صوته يشبه مزامير آل داود، فقالت في نفسها: الله ينكد على هذه العجوز التي قالت لي عليه انه مبتلى بالجذام فمن كانت به هذه الحالة لا يكون صوته هكذا وغنا هذا الكلام كذب.

ثم إنها وضعت في يديها عوداً من صنعة الهنود وأصلحت أوتاره وغنت عليه بصوت يوقف الطير في كبد السماء وأنشدت هذين البيتين:

تعشقت ظيباً ناعس الطرف أحورا
تغار غصون البان منه إذا مشى
بما تغني والغير يحظى بوصله
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما سمعها انشدت هذا الكلام بعد أن ختم السورة غنى وانشد هذا البيت:

سلامي على ما في الثياب من القدر
وما في خدود البساتين من الورد

فقامت الصبية وقد زادت محبتها له ورفعت الستارة فلما رآها علاء الدين أنشد هذين البيتين:

بدت قمر ومالت غصن بان
وفاحت عنبراً ورننت غزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبي
فساعة هجرها يجد الوصالا

ثم غنها خطر تهز اردافاً تميل بأعطاف صنعة خفي الأظاف ونظر كل واحد منهما نظرة أعقبتها ألف حسرة، فلما تمكن في قلبه منها سهم اللحظين أنشد هذين البيتين:

بدأت قمر السماء فأذكرتني
ليالي وصلها بالرقمتين
رأيت بعينها ورأت بعيني
كلانا ناظر قمرًا ولكن

فلما قربت منه ولم يبقينه وبينها غير خطوتين وانشد هذين البيتين:
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتني القمرين في وقت معا

فلما أقبلت عليه قال لها: ابعدني فكتفت عن معصمها فانفرق المعصم فرقتين وبياضه كيباض اللجين، ثم قالت له: ابعد عني فإنك مبتلى بالجذام لئلا تعديني، فقال لها: وأنا الآخر أخبرتني العجوز أنك مصابة بالبرص ثم كشف لها عن ذراعه فوجدت بدنه كالفضة النقية فضمته إلى حضنها وضمها إلى صدره واعتنق الاثنان بعضهما.

ثم أخذته وراحت على ظهرها وفكت لباسها فتحرك عليها الذي خلفه له الوالد فقالت: مددك يا شيخ زكريا يا أبا العروق وحط يديه على خصرتيها ووضع عرق الحلاوة في الخرق فوصل إلى باب الشعرية وكان مورده من باب الفتوح وبعد ذلك دخل سوق الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فوجد البساط على قدر الليوان ودور الحق على غطاء حتى ألقاه.

فلما أصبح الصباح قال لها: يا فرحة ما تمت أخذها الغراب وطار فقالت له: ما معنى هذا الكلام؟ فقال لها: سيدتي ما بقي لي قعود معك غير هذه الساعة فقالت له: من يقول ذلك؟ فقال لها: إن أباك كتب علي حجة بعشرة آلاف دينار مهرك وإن لم أوردتها هذا اليوم حبسوني عليها في بيت القاضي والآن يدي قصيرة عن نصف فضة واحد من العشرة آلاف دينار، فقالت له: يا سيدي هل العصمة بيدك أو بأيديهم؟ فقال لها: العصمة بيدي ولكن ما معي شيء فقالت له: إن الأمر سهل ولا تخشى شيئاً ولكن خذ هذه المائة دينار ولو كان معي غيرها لأعطيتك ما تريد فإن أبي من محبته لابن أخيه حول جميع ماله من عندي إلى بيته حتى صيغتي أخذها كلها، وإذا أرسل إليك رسولا من طرف الشرع في غد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الحادية والتسعين بعد المنتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية قالت لعلاء الدين: وإذا أرسلوا إليك رسولا من طرف الشرع في غد وقال لك القاضي وأبي: طلق فقل لهما: في أي مذهب يجوز أنني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح؟ ثم إنك تقبل يد القاضي وتعطيه إحساناً وكذا كل شاهد تقبل يده وتعطيه عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك فإذا قالوا لك: لأي شيء ما تطلق وتأخذ ألف دينار والبقلة والبدلة على حكم الشرط الذي شرطناه عليك؟ فقل لهم: أنا ما عندي فيها كل شعرة بألف دينار ولا أطلقها أبداً ولا أخذ بدلة ولا غيرها فإذا قال لك القاضي: ادفع المهر فقل له: أنا معسر الآن وحينئذ يستترق بك القاضي والشهود ويمهلونك مدة. فبينما هما في الكلام وإذا برسول القاضي يدق الباب فخرج إليه فقال له الرسول: كلم الأفندي، فإن نسيبك طالبك فأعطاه خمسة دنانير وقال له: يا محضر في أي شرع أني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح؟ فقال له: لا يجوز عندنا أبداً وإن كنت تجهل الشرع فأنا أعلم وكيلك وساروا إلى المحكمة، فقالوا له: لأي شيء لم تطلق المرأة وتأخذ ما وقع عليه الشرط؟ فتقدم إلى القاضي وقبل يده ووضع فيها خمسين ديناراً وقال له: يا مولانا القاضي في أي مذهب أني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح قهراً عني؟ فقال القاضي: لا يجوز الطلاق بالإجبار في أي مذهب من المسلمين. فقال أبو الصبية: إن لم تطلق فادفع الصداق عشرة آلاف دينار، فقال علاء الدين: أمهلني ثلاثة أيام، فقال القاضي: لا تكفي ثلاثة أيام في المهلة بمهلك عشرة أيام واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد عشرة أيام وإما الطلاق، فطلع من عندهم على هذا الشرط فأخذ اللحم والأرز والسمن وما يحتاج إليه من المأكول وتوجه إلى البيت فدخل على الصبية وحكى جميع ما جرى له بين الليل والنهار يساوي عجائب والله در من قال:

كن حليماً إذا بليت بغيظ
وصبوراً إذا أنتك مصيبة
فاليالي من الزمان حبالى
مقلات يلدن كل عجيبة

ثم قامت وهيات الطعام وأحضرت السفرة فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا، ثم طلب منها أن تعمل نوبة سماع فأخذت العود وعملت نوبة يطرب منها الحجر الجمود ونادت الأوتار في الحضرة يا داود ودخلت في دارج النوبة، فبينما هما في حظ ومزاح وبسط واتسراح وإذا بالباب يطرق فقالت له: قم انظر من في الباب فنزل وفتح الباب

فوجد أربعة دراويش واقفين فقال لهم: أي شيء تطلبون؟ فقالوا له: يا سيدي نحن دراويش غرباء الديار وقوت روحنا السماع ورقائق الأشعار ومرادنا أن نرتاح عندك هذه الليلة إلى وقت الصباح ثم نتوجه إلى حال سبيلنا وأجرك على الله تعالى فإننا نعشق السماع وما فينا واحد إلا ويحفظ القصائد والأشعار والموشحات. فقال لهم: علي مشورة، ثم طلع وأعلمها فقالت له: افتح له الباب وأطلعهم وأجلسهم ورحب بهم ثم احضر لهم طعاماً فلم يأكلوا وقالوا له: يا سيدي إن زاردنا ذكر الله بقلوبنا وسماع المغاني بأذاننا، والله در من قال:

وام القصد إلا أن يكون اجتماعنا وما الأكل إلا سمة البهائم

و قد كنا نسمع عندك سماعاً لطيفاً فلما طلعتنا بطل السماع فيا هل ترى التي كانت تعمل النوبة جارية بيضاء أو سوداء أو بنت ناس؟ فقال لهم: هذه زوجتي وحكى لهم كل ما جرى له وقال لهم: إن نسيبي عمل علي عشرة آلاف دينار مهرها وأمهلوني عشرة أيام فقال درويش منهم: لا تحزن ولا تأخذ في خاطرنا إلا الطيب فأنا شيخ التكية وتحت يدي أربعون درويشاً أحكم عليهم وسوف أجمع لك العشرة آلاف دينار منهم وتوفي المهر الذي عليك لنسيبك ولكن قل لها أن تعمل لنا نوبة لأجل نحطى بسماعها ويحصل لنا انتعاش فإن السماع لقوم كالغذاء لقوم ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة.

و كان هؤلاء الدراويش الأربعة: الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي وأبو نواس الحسن بن هانئ ومسرور سياف النخعة، وسبب مرورهم على هذا البيت أن الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزير: إن مرادنا أن ننزل ونشوق في المدينة لأنه حاصل عندي ضيق صدر فلبسوا لبس الدراويش ونزلوا في المدينة فجازوا على تلك الدار فسمعوا النوبة فأحبوا أن يعرفوا حقيقة الأمر، ثم إنهم باتوا في حظ ونظام ومناقلة كلام إلى أن أصبح الصباح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وتوجهوا إلى حال سبيلهم، فلما رفعت الصبابة السجادة رأت مائة دينار تحتها فقالت لزوجها: خذ هذه المائة دينار التي وجدتها تحت السجادة لأن الدراويش حطوها قبل ما يروحوا وليس عندنا علم بذلك، فأخذها علاء الدين وذهب إلى السوق واشترى اللحم والأرز والسمن وكل ما يحتاج إليه وفي ثاني ليلة أوقد الشمع. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثامنة والتسعين بعد المئتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين أوقد الشمع في ثاني ليلة وقال لزوجته زبيدة: إن الدراويش لم يأتوا بالعشرة ألف دينار التي وعدوني بها ولكن هؤلاء فقراء، فبينما هما في الكلام وإذا بالدراويش قد طرقت الباب فقالت له: انزل افتح لهم ففتح لهم وطلعتوا فقال لهم: هل أحضرتم العشرة آلاف دينار التي وعدتموني بها؟ فقالوا: ما تيسر منها شيء ولكن لا تخشى بأساً إن شاء الله في غد نطبخ لك طبخة كيميائية وأمر زوجتك أن تسمعنا نوبة على العود ترقص الحجر الجلود فياتوا في هناء وسرور ومسامرة وحبور إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وانصرفوا من عنده إلى حال سبيلهم. ولم يزلوا يأتون إليه على هذه الحال مدة تسع ليال وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار إلى أن أقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا وكان السبب في انقطاعهم أن الخليفة أرسل إلى رجل عظيم من التجار وقال له: احضر لي خمسين حملاً من الأقمشة التي تجيء من مصر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التاسعة والتسعين بعد المئتين قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لذلك التاجر: احضر لي خمسين حملاً من القماش الذي يجيء من مصر يكون كل حمل ثمنه ألف دينار واكتب على كل حمل ثمنه وأحضر لي عبداً حبشياً فأحضر له التاجر كل ما أمره به الخليفة، ثم إن الخليفة أعطى العبد طشتاً وإبريقاً من الذهب وهدية والخمسين حملاً وكتب كتاباً على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال له: خذ هذه الأحمال وما معها ورح بها إلى الحارة الفلانية التي فيها بيت شاه بندر التجار وقل: أين سيدي علاء الدين أبو الشامات فإن الناس يدلونك على الحارة وعلى البيت، فأخذ العبد الأحمال وما معها وتوجه كم أمره الخليفة. هذا ما كان من أمره.

و أما ما كان من أمر ابن عم الصبابة فإنه توجه إلى أبيها وقال له: تعالي نروح لعلاء الدين لنطلق بنت عمي فنزل وسار هو وأبوه وتوجهوا إلى علاء الدين فلما وصل إلى البيت وجدا خمسين بغلاً وعليها خمسين حملاً من القماش وعبداً راكب بغلة فقالا له: لمن هذه الأحمال؟ فقال: لسيدي علاء الدين أبو الشامات، فإن أباه كان قدجهز له متجراً وسفره إلى مدينة بغداد فطلع عليه العرب فأخذوا ماله وأحماله فبلغ الخبر إلى أبيه فأرسلني إليه بأحمال عوضها وأرسل معي بغلاً عليه خمسون ألف دينار وبقجة تساوي جملة من المال وكرك سمور وطشتاً وإبريقاً من الذهب، فقال أبوالبنت: هذا نسيبي وأنا أدلك على بيته.

فبينما علاء الدين قاعد في البيت وهو في غم شديد وإذا بالباب يطرق فقال علاء الدين: يا زبيدة الله أعلم أن أباك أرسل لي رسولا من طرف القاضي أو من طرف الوالي فقالت له: انزل وانظر الخبر، فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار أبا زبيدة ورأى عبداً حبشياً أسمر اللون حلو المنظر راكباً فوق بغلة فنزل العبد وقبل يديه فقال له: أي شيء تريد؟ فقال له العبد: أنا عبد سيدي علاء الدين أبي الشامات بن شمس الدين شاه بندر التجار بأرض مصر وقد أرسلني إليه أبوه بهذه الأمانة، ثم أعطاه الكتاب فأخذه علاء الدين وفتحه وقرأه فرأى مكتوباً فيه:

يا كتابي إذا رأك حبيبي
يا كتابي إذا رأك حبيبي
تمهل ولا تكن بعجول
قبل الأرض والنعال لدي
إن روحي وراحت في يديه

بعد السلام والتحية والإكرام من شمس الدين إلى ولده علاء الدين: اعلم يا ولدي أنه بلغني خبر قتل رجالك ونهب أموالك وأحمالك فأرسلت إليك غيرها هذه الخمسين حملاً من القماش المصري والبذلة والكر السمر والطشت والإبريق الذهب ولا تخشى بأساً والمال فداؤك يا ولدي ولا يحصل لك حزن أبداً، وإن أمك وأهل البيت طيبون بخير وهم يسلمون عليك كثير السلام، وبلغني يا ولدي خبر وهو أنهم عملوك محللاً للبتت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها خمسين ألف دينار فهي واصلة إليك صحبة الأحمال مع عبدك سليم، فلما فرغ من قراءة الكتاب تسلم الأحمال، ثم التفت إلى نسيبه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما التفت إلى نسيبه قال له: يا نسيبي خذ الخمسين ألف دينار مهر ابنتك زبيدة وخذ الأحمال تصرف فيها ولك المكسب ورد لي رأس المال، فقال له: لا والله لا أخذ شيئاً وأما مهر زوجتك فاتفق أنت وإياها من جهته فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخلا البيت بعد إدخال الحمول فقالت زبيدة لأبيها: يا أبي لمن هذه الأحمال؟ فقال لها: هذه الأحمال لعلاء الدين زوجك أرسلها إليه أبوه عوضاً عن الأحمال التي أخذها العرب منه وأرسل إليه الخمسين ألف دينار وبقجة وكرك سمور وبغلة وطشتاً وإبريقاً ذهباً، وأما من جهة مهرك فالرأي إليه لك فيه فقام علاء الدين وفتح الصندوق وأعطاه إياه فقال الولد ابن عم البنت: يا عم خل علاء الدين يطلق لي امرأتي؟ قال له: هذا شيء ما بقي يصح أبداً والعصمة بيده فراح الولد مهموماً مقهوراً وردد في بيته ضعيفاً فكانت القاضية فماتت. وأما علاء الدين فإنه طلع إلى السوق بعد أن أخذ الأحمال وأخذ ما يحتاج إليه من المأكول والمشرب والسمن وعمل نظاماً مثل كل ليلة وقال لزبيدة: انظري هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا وأخلفوا وهدموا فقال له: أنت ابن شاه بندر التجار وكانت يدك قصيرة عن نصف فضية فكيف بالمساكين الدراويش؟ فقال لها: أغنانا الله تعالى عنهم ولكن ما بقيت أفتح لهم الباب إذا أتوا إلينا، فقالت له: لأي شيء والخير ما جاءنا إلا إلى قدمهم وكل ليلة يحطون تحت السجادة لنا مائة دينار فلا بد أن تفتح لهم الباب إذا جاؤوا، فلما ولى النهار بضياؤه وأقبل الليل أوقد الشمع وقال لها: يا زبيدة قومي اعلمي لنا نوبة وإذا بالباب يطرق فقالت له: قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب راهم الدراويش فقال: مرحباً بالكذابين اطلعوا، فطلعوا معه وأجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وبعد ذلك قالوا له: يا سيدي إن قلوبنا عليك مشغولة أي شيء جرى لك مع نسيبك؟ فقال لهم: عوض الله علينا بما فوق المراد، فقالوا له: والله إننا كنا خائفين عليك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الواحدة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الدراويش قالوا لعلاء الدين: والله إننا كنا خائفين عليك وما منعنا إلا قصر أيدينا عن الدراهم فقال لهم: قد أتناي الفرج القريب من ربي وقد أرسل لي والدي خمسين ألف دينار وخمسين حملاً من القماش ثمن كل حمل ألف دينار وبذلة وكرك سمور وبغلة وعبداً وطشتاً وإبريقاً من الذهب ووقع الصلح بيني وبين نسيبي وطابت لي زوجتي والحمد لله على ذلك، ثم إن الخليفة قام يزيل ضرورة فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له: الزم الأدب فإنك في حضرة أمير المؤمنين، فقال له: أي شيء وقع مني من قلة الأدب في حضرة أمير المؤمنين، ومن هو أمير المؤمنين منكم؟ فقال له: إنه الذي كان يكلمك وقام يزيل الضرورة هو أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد وأنا الوزير جعفر البرمكي وهذا مسرور سيف نقتمه وهذا أبو نواس الحسن بن هانئ قتال بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم في السفر من مصر إلى بغداد، فقال له الخمسة والأربعين يوماً فقال له: إن حمولك نهبت منذ عشرة أيام فقط كيف يروح الخبر لأبيك ويجزم لك الأحمال وتقطع مسافة خمسة وأربعين يوماً في العشرة أيام؟ فقال له: يا سيدي ومن أين أتاني هذا؟ فقال له: من عند الخليفة أمير المؤمنين بسبب فرط محبته لك فبينما هما في هذا الكلام وإذا بالخليفة قد أقبل فقام علاء الدين وقبل الأرض بين يديه وقال له: الله يحفظك يا أمير المؤمنين وبديهم بقاءك ولا عدم الناس فضلك وإحسانك. فقال: يا علاء الدين خل زبيدة تعمل لنا نوبة حلالة السلامة فعملت النوبة على العود من غرائب الموجود إلى أن طرب لها الحجر الجمود وصباح العود في الحضرة يا داود فباتوا على أسر حال إلى الصباح فلما أصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين: في غد اطع الديوان، فقال له: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين

إن شاء الله تعالى وأنت بخير ثم إن علاء الدين أخذ عشرة أطباق ووضع فيها هدية سنوية وطلع بها الديوان في ثاني يوم فبينما الخليفة قاعد على الكرسي في الديوان وإذا بعلاء الدين مقبل من ابا الديوان وهو ينشد هذين البيتين:

تصحبك السعادة كل يوم
ولا زالت الأيام لك بيضاً
بإجلال على رغم الحسود
وأيام الذي عاداك سود

فقال له الخليفة: مرحباً يا علاء الدين، فقال له علاء الدين: يا أمير المؤمنين إن النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهدية وهذه عشرة أطباق وما فيها هدية مني إليك فقبل منه ذلك أمير المؤمنين وأمر له بخلعة سنوية وجعله شاه بندر وأقعه في الديوان. فبينما هو جالس وإذا بنسيبه أبي زبيدة مقبل فوجد علاء الدين جالساً في رتبته وعليه خلعة فقال لأمر المؤمنين: يا ملك الزمان لأي شيء هذا جالس في رتبتي وعليه هذه الخلعة؟ فقال له الخليفة: إني جعلته شاه بندر التجار والمناصب تقليد لا تخليد وأنت معزول، فقال له: إنه منا وإلينا ونعم ما فعلت يا أمير المؤمنين الله يجعل خيارنا أولياء أمورنا وكم من صغير صار كبيراً، ثم إن الخليفة كتب فرماناً لعلاء الدين وأعطاه للوالي والوالي أعطاه للمشاعر ونادى في الديوان: ما شاه بندر التجار إلا علاء الدين أبو الشامات وهو مسموع الكلمة محفوظ الحزمة يجب له الإكرام والاحترام ورفع المقام. فلما انفض الديوان نزل الوالي بالمنادي بين يدي علاء الدين وصار المنادي يقول: ما شاد بندر التجار إلا سيدي علاء الدين أبو الشامات، فلما أصبح الصباح فتح دكاناً للعبد وأجلسه فيه يبيع ويشترى وأما علاء الدين فإنه كان يركب ويتوجه إلى مرتبته في ديوان الخليفة.

و أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثانية بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين كان يركب ويتوجه إلى ديوان الخليفة فاتفق أنه جلس في مرتبته يوماً على عادته فبينما هو جالس وإذا بقائل يقول للخليفة: يا أمير المؤمنين تعيش رأسك في فلان النديم فإنه توفي إلى رحمة الله تعالى وحياتك الباقية فقال الخليفة: أين علاء الدين أبو الشامات؟ فحضر بين يديه فلما رآه خلع عليه خلعة سنوية وجعله نديمه وكتب له جامكية ألف دينار في كل شهر وأقام عنده يتنادم معه فاتفق أنه كان جالساً يوماً من الأيام في مرتبته على عادته في خدمة الخليفة وإذا بأمر المؤمنين طالع إلى الديوان بسيف وترس وقال: يا أمير المؤمنين يعيش رأسك رئيس الستين فإنه مات في هذا اليوم فأمر الخليفة لعلاء الدين أبي الشامات وجعله رئيس الستين مكانه وكان رئيس الستين لا ولد له ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على ماله وقال الخليفة لعلاء الدين: واره في التراب وخذ جميع ما تركه من مال وعبيد وجوار وخدم.

ثم نفص الخليفة المنديل وانفض الديوان فنزل علاء الدين وفي ركابه المقدم أحمد الدنف مقدم ميمنة الخليفة هو وأتباعه الأربعون وفي يساره المقدم حسن شومان مقدم مسيرة الخليفة وأتباعه الأربعون، فالتفت علاء الدين وقال لهم: أنتم سيق على المقدم أحمد الدنف لعله يقبلني ولده في عهد الله قبله وقال له: أنا وأتباعي نمشي قدامك إلى الديوان في كل يوم، ثم إن علاء الدين مكث في خدمة الخليفة مدة أيام، فاتفق أن علاء الدين نزل من الديوان يوماً من الأيام وسار إلى بيته وصرف أحمد الدنف ومن معه في سبيلهم، ثم جلس مع زوجته زبيدة العودية وقد أوقدت الشموع وبعد ذلك قامت تزيل ضرورة، فبينما هو جالس في مكانه إذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعاً لينظر الذي صرخ فرأى صاحب الصرخة زبيدة العودية وهي مطروحة فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة وكان بيت أبيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها فقال لعلاء الدين: ما الخبر يا سيدي علاء الدين؟ فقال له: يعيش رأسك يا والدي في بنتك زبيدة العودية ولكن يا والدي إكرام الميت دفنه، فلما أصبح الصباح واروها التراب وصار علاء الدين يعزي أباه وأباه يعزيه. هذا ما كان من أمر زوجته، وأما ما كان من أمر علاء الدين فإنه ليس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وصار باكي العين حزين القلب فقال الخليفة لجعفر: يا وزير ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان؟ فقال له الوزير: يا أمير المؤمنين إنه حزين القلب على زوجته زبيدة ومشغول بعزائها فقال الخليفة للوزير: واجب علينا أن نعزيه، فقال الوزير: سمعاً وطاعة ثم نزل الخليفة هو والوزير وبعض الخدم وتوجهوا إلى بيت علاء الدين فبينما هو جالس وإذا بالخليفة والوزير معهما مقبلون عليه فقام لملتقاهم وقبل الأرض بين يدي الخليفة فقال له: عوضك الله خيراً؟ فقال علاء الدين: أطال الله لنا بقاءك يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة: يا علاء الدين ما سبب انقطاعك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثالثة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لعلاء الدين: ما سبب انقطاعك عن الديوان؟ فقال له: حزني على زوجتي زبيدة يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة ادفع الهم عن نفسك فإنها ماتت

إلى رحمة الله تعالى والحزن عليها لا يفيدك شيئاً أبداً، فقال: يا أمير المؤمنين إنا لا أترك الحزن عليها إلا إذا مت ودفنوني عندها، فقال له الخليفة: إن في الله عوضاً من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال، والله در من قال:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
وكيف يلهو بعيش أو يلذ له
يوماً على آلة حذباء محمول
من التراب على حديه جعول

ولما فرغ الخليفة من تعزيته أوصاه أنه لا ينقطع عن الديوان وتوجه إلى محله وبات لعلاء الدين، ولما أصبح الصباح ركب وسار إلى الديوان فدخل على الخليفة وقبل الأرض بين يديه فتحرك له الخليفة من على الكرسي ورحب به وحياه وأنزله في منزلته وقال له: يا علاء الدين أنت ضيفي في هذه الليلة، ثم دخل به سرايته ودعا بجارية تسمى قوت القلوب وقال لها: إن علاء الدين كان عنده زوجة تسمى زبيدة العودية وكانت تسليه عن الهم والغم فماتت إلى رحمة الله تعالى ومرادي أن تسمعيه نوبة على العود. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الرابعة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لجاريته قوت القلوب: مرادي أن تسمعيه نوبة على العود من غرائب الموجود لأجل أن يتسلى عن الهم والأحزان، فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب فقال الخليفة: ما تقول يا علاء الدين في صوت هذه الجارية؟ فقال له: إن زبيدة أحسن صوتاً منها إلا أنها صاحبة صناعة في ضرب العود لأنها تطرب الحجر الجلود فقال له: هل هي أعجبتك؟ فقال له: أعجبتني يا أمير المؤمنين فقال الخليفة: وحياء رأسي وتربة جدودي أنها هبة مني إليك هي وجواريتها فظن علاء الدين أن الخليفة يمزح معه فلما أصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب، وقال لها: أنا وهبتك لعلاء الدين ففرحت بذلك لأنها رأته وأحبته ثم تحول الخليفة من قصر السرايا إلى اديوان ودعا بالحمالين وقال لهم: انقلوا أمتعة قوت القلوب وحطوها في التختروان هي وجواريتها إلى بيت علاء الدين فقلوها هي وجواريتها وامتعتهما وأدخلوها القصر وجلس الخليفة في مجلس الحكم إلى آخر النهار، ثم انفض الديوان ودخل قصره. هذا ما كان من أمره. و أما ما كان من أمر قوت القلوب فإنها لما دخلت قصر علاء الدين هي وجواريتها وكانوا أربعين جارية غير الطواشبية، قالت لاثنتين من الطواشبية: أحكما يقعد على كرسي في ميمنة الباب والثاني يقعد على كرسي في ميسرته وحين يأتي علاء الدين قبلا يديه وقولا له: إن سيدتنا قوت القلوب تطلبك إلى القصر فإن الخليفة وهبها لك هي وجواريتها فقالوا: سمعاً وطاعة ثم فعلا ما أمرتهما به فلما أقبل علاء الدين وجد اثنتين من طواشبية الخليفة جالسين بالباب فاستغرب الأمر وقال في نفسه: لعل هذا ما هو بيتي وإلا فما الخبر؟ فلما رأته الطواشبية قاموا إليه وقبلوا يديه، وقالوا: نحن من أتباع الخليفة وممالك قوت القلوب وهي تسلم عليك وتقول لك أن الخليفة قد وهبها لك هي وجواريتها وتطلبك عندها. فقال لهم: قولوا لها: مرحبا بك ولكن ما دمت عنده ما يدخل القصر الذي أنت فيه لأن ما كان للمولى لا يصلح أن يكون للخدام وقولا لها: ما مقدار مصروفك عند الخليفة في كل يوم؟ فطلعوا إليها وقالوا لها ذلك فقالت: كل يوم مائة دينار فقال لنفسه أنا ليس لي حاجة بأن يهب لي الخليفة قوت القلوب حتى أصرف عليها هذا المصروف ولكن لا حيلة في ذلك.

ثم إنها أقامت عنده مدة أيام وهو مرتب لها في كل يوم مائة دينار إلى أن انقطع علاء الدين عن الديوان يوماً من الأيام فقال الخليفة للوزير جعفر: أنا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين إلا لتسليته عن زوجته، وما سبب انقطاعه؟ فقال جعفر: لعله ما قطعه عنا إلا عذر ولكن نحن نزره وكان قبل ذلك بأيام قال علاء الدين للوزير: أنا شكوت للخليفة ما أجده من الحزن على زوجتي زبيدة العودية فوهب لي قوت القلوب. فقال له الوزير: لولا أنه يحبك ما وهبها لك وهل دخلت بها يا علاء الدين؟ فقال: لا والله لا أعرف لها طولاً من عرض فقال له: ما سبب ذلك؟ فقال: يا وزير الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام ثم إن الخليفة وجعفر اختفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزا إلا سائرين إلى أندخلا على علاء الدين فعرفهما وقام وقبل يد الخليفة فلما رآه الخليفة وجد عليه علامة الحزن فقال له: يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذي أنت فيه أما دخلت على قوت القلوب؟ فقال: يا أمير المؤمنين الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وإنني إلى الآن ما دخلت عليها ولا أعرف لها طولاً من عرض فأقلني منها فقال الخليفة: إن مرادي الإجتماع بها حتى أسأله عن حالها فقال علاء الدين: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين فدخل عليها الخليفة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الخامسة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة دخل على قوت القلوب فلما رأته قامت وقبلت الأرض بين يديه فقال لها: هل دخل بك علاء الدين؟ فقالت: لا يا أمير المؤمنين وقد أرسلت أطلبه للدخول فلم يرض فأمر الخليفة برجوعها إلى السرايا وقال لعلاء الدين: لا تنقطع عنا، ثم توجه الخليفة إلى داره فبات علاء الدين تلك الليلة ولما أصبح ركب وسار إلى الديوان فجلس في رتبة رئيس الستين فأمر الخليفة الخازنار يعطي للوزير جعفر عشرة ألف دينار فأعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير: أزمك أن تنزل إلى

سوق الجواري وتشتري لعلاء الدين بال عشرة ألف دينار جارية فامتثل الوزير لأمر الخليفة وأخذ معه علاء الدين وسار به إلى سوق الجواري فاتفق في هذا اليوم أن والي بغداد الذي من طرف الخليفة وكان اسمه الأمير خالد نزل إلى السوق لأجل اشتراء جارية لولده وسبب ذلك أنه كان له زوجة تسمى خاتون وكان رزق منها بولد قبيح المنظر يسمى حبظلم بظاظة واكن بلغ من العمر عشرين سنة ولا يعرف أن يركب الحصان وكان أبوه شجاعاً قرماً مناعاً وكان يركب الخيل ويخوض بحار الليل فنام حبظلم بظاظة في ليلة من الليالي فاحتلم فأخبر والدته بذلك ففرحت وأخبرت والده بذلك وقالت: مرادي أن تزوجه فإنه صار يستحق الزواج فقال لها: هذا قبيح المنظر كربه الرائحة دنس وحش لا تقبله واحدة من النساء، فقالت: تشتري له جارية فلأمر قدره الله تعالى أن اليوم الذي نزل فيه الوزير وعلاء الدين إلى السوق نزل فيه الأمير خالد الوالي هو وولده حبظلم بظاظة. فبينما هم في السوق، وإذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدل في يد رجل دلال فقال الوزير: شاور يا دلال عليها بألف دينار فمر بها على الوالي فرأها حبظلم بظاظة نظرة أعقبته ألف حسرة وتولع بها وتمكن منه حبها، فقال: يا أبت اشتري هذه الجارية فنأدى الدلال وسأل الجارية عن اسمها فقالت له: اسمي ياسمين فقال له أبوه يا ولدي إن كانت أعجبتك فزد في ثمنها، فقال: يا دلال كم معك من الثمن؟ قال: ألف دينار قال: علي بألف دينار ودينار فجاء لعلاء الدين فعملها بألفين فصار كلما يزيد ابن الوالي ديناراً في الثمن يزيد علاء الدين ألف دينار فاغتاظ ابن الوالي وقال: يا دلال من يزيد علي في ثمن الجارية؟ فقل له الدلال: إن الوزير جعفر يريد أن يشتريها لعلاء الدين أبي الشامات فعملها علاء الدين بعشرة ألف دينار فسمح له سيدها وقبض ثمنها وأخذها علاء الدين وقال لها: أعتقتك لوجه الله تعالى.

ثم إنه كتب كتابه عليها وتوجه بها إلى النيت ورجع الدلال ومعه دلالاته فنأده ابن الوالي وقال له: أين الجارية؟ فقال له: اشتراها علاء الدين بعشرة آلاف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها فانكمد الولد وزادت به الحسرات ورجع ضعيفاً إلى البيت من محبته لها وارتمى في الفراش وقطع الزاد وزاد به العشق والغرام. فلما رأته أمه ضعيفاً قالت له: سلامتك يا ولدي ما سبب ضعفك؟ قال لها: اشتري لي ياسمين يا أمي قالت له: لما يفوت صاحب الرياحين اشتري لك جنينة ياسمين، فقال لها: ليس اليا سمين الذي يشم وإنما هي جارية اسمها ياسمين لم يشتريها لي أبي، فقالت لزوجها: لأي شيء ما اشتريتها له هذه الجارية؟ فقال لها: الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وليس لي قدرة على أخذها فإنه ما اشتراها إلا علاء الدين رئيس الستين فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد وتعصبت امه بعصائب الحزن.

فبينما هي في بيتها حزينة على ولدها، وإذا بعجوز دخلت عليها اسمها أم أحمد فقام السراق وكان هذا السراق ينقب وسطانياً ويلقف فرقانياً ويسرق الكحل من العين وكان بهذه الصفات القبيحة في أول أمره ثم عملوه مقدم الدرك فسرق عملة ووقع بها وهجم عليه الوالي فأخذه وعرضه على الخليفة فأمر بقتله في بقعة الدم فاستجار بالوزير، وكان للوزير عند الخليفة شفاعاة لا ترد فشفع فيه فقال له الخليفة: كيف تشفع في أفة تضر الناس؟ فقال له: يا أمير فإن الذي بنى السجن كان حكيماً لأن السجن قبر الأحياء وشماتة الأعداء فأمر الخليفة بوضعه في السجن في قيد وكتب عليه قيد مخلد إلى الممات لا يفك إلا على دكة المغسل فوضعه مقيداً في السجن، وكانت أمه تتردد على بيت الأمير خالد الوالي وتدخل لابنها في السجن وتقول له: أما قلت لك ثب عن الحرام فيقول لها قدر الله ذلك ولكن يا أمي إذا دخلت على زوجة الوالي فخليها تشفع لي عنده.

فلما دخلت العجوز على زوجة الوالي وجدتها معصية بعصائب الحزن، فقالت لها: ما لك حزينة؟ فقالت لها: على فقد ولدي حبظلم بظاظة، فقالت لها: سلامة ولدك ما الذي أصابه؟ فحككت لها الحكاية فقالت لها العجوز: ما تقولين فيمن يلعب منصفاً يكون فيه سلامة ولدك؟ فقالت لها: وما الذي تفعلينه؟ فقالت: أنا لي ولد يسمى أحمد فمأقم السراق وهو مقيد في السجن مكتوب على قيده مخلد إلى الممات، فأنت تقومين وتلبسين أفر ما عندك وتترينين بأحسن الزينة وتقابلين زوجك ببشر وبشاشة فإذا طلب منك ما يطلبه الرجال من النساء فامتنعي منه ولا تمكنيه وقولي له: يا الله العجب إذا كان للرجل حاجة عند زوجته يلح عليها حتى يقضيها منها وإذا كان للزوجة عند زوجها حاجة فإنه لا يقضيها لها فيقول لك وما حاجتك. فتقول له: حتى تحلف لي فإذا حلف لك بحياة رأسه وبالله فقولي له: حلف لي بالطلاق مني ولا تمكنيه إلا أن يحلف لك بالطلاق فإذا حلف لك بالطلاق فقولي له: عندك في السجن واحد مقدم اسمه أحمد فمأقم، وله أم مسكينة وقد وقعت علي وسأقتني عليك، وقالت لي: خليه يشفع عند الخليفة لأجل أن يتوب ويحصل له الثواب، فقالت لها: سمعاً وطاعة، فلما دخل الوالي على زوجته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السادسة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الوالي لما دخل على زوجته قالت له ذلك الكلام وحلف لها بالطلاق فمكنته وبات ولما أصبح الصباح اغتسل، وصلى الصبح وجاء إلى السجن وقال: يا أحمد فمأقم يا سراق هل تتوب مما أنت فيه؟ فقال: إني تبت إلى الله تعالى ورجعت وأقول بالقلب واللسان:

أستعفر الله فأطلقه الوالي من السجن وأخذ معه إلى الديوان وهو في القيد ثم تقدم إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه.

فقال له: يا أمير خالد، أي شيء تطلب؟ فتقدم أحمد قمامم يخطر في القيد قدام الخليفة فقال له: يا قمامم هل أنت حي إلى الآن؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن عمر الشقي بقي فقال: يا أمير خالد لأي شيء جئت به هنا؟ فقال له: إن له أمماً مسكينة منقطعة وليس لها أحد غيره، وقد وقعت على عبدك أن يتشفع عندك يا أمير المؤمنين في أنك تفكه من القيد وهو يتوب عما كان فيه وتجعله مقدم الدرك كما كان أولاً. فقال الخليفة لأحمد قمامم: هل تبنت عما كنت فيه؟ فقال له: تبنت إلى الله يا أمير المؤمنين فأمر بإحضار الحداد وفك قيده على دكة المغسل وجعله مقدم الدرك وأوصاه بالمشي الطيب فقبل يد الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا له بالتقديم فمكث مدة من الزمن في منصبه، ثم دخلت أمه على زوجة الوالي فقالت لها: الحمد لله الذي خلص ابنك من السجن وهو على قيد الصحة والسلامة فلا شيء لم تقولي له يدبر أمراً في مجيئه بالجارية باسمين إلى ولدي حيزلم بظاظة؟ فقالت: أقول له، ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكراناً. فقالت له: يا ولدي ما سبب خلاصك من السجن إلا زوجة الوالي وتريد منك أن تدبر لها أمراً في قتل علاء الدين أبي الشامات وتجيء بالجارية باسمين إلى ولدها حيزلم بظاظة، فقال لها: هذا أسهل ما يكون ولا بد أن أوبر له أمراً في هذه الليلة وكانت تلك الليلة أول ليلة في الشهر الجديد وعادة أمير المؤمنين أن يبيت فيها عند السيدة زبيدة لعنتق جارية أو مملوك أو نحو ذلك وكان من عادة الخليفة أن يقلع بدلة الملك، ويترك السبحة والنمشة وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسي في قاعة الجلوس وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزاً عند الخليفة.

ثم إن الخليفة وكل الطواشية بالبدلة والمصباح وباقي الأمتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة فصرأحمد قمامم السراق لما انتصف الليل وأضاء سهيل ونامت الخلائق وتجلى عليهم بالستر الخالق، ثم سحب سيفه في يمينه وأخذ مقله في يساره وأقبل على قاعة الجلوس فتعلق بها وطلع على السلم إلى السطوح، ورفع طابق القاعة ونزل فيها فوجد الطواشية نائمين، فبنجهم وأخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمشة والمنديل والخاتم والمصباح الذي بالجواهر ثم نزل من الموضع الذي طلع منه وسار إلى بين علاء الدين أبي الشامات وكان علاء الدين في هذه الليلة مشغولاً بفرج الجارية فدخل عليها وراحت منه حاملاً. فنزل أحمد قمامم السراق على قاعة علاء الدين وقلع لوحاً رخاماً من دار القاعة وحفر تحته ووضع بعض المصالح وأبقى بعضها معه، ثم جيس اللوح الرخام كما كان ونزل من الموضع الذي طلع منه وقال في نفسه: أنا أقعد أسكر وأحط المصباح قدامي وأشرب الكأس على نوره ثم سار إلى بيته فما أصبح ذهب الخليفة إلى القاعة فوجد الطواشية مبنجين فأيقظهم وحط يده فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمشة ولا المنديل ولا المصباح فاعتاظ لذلك غيظاً شديداً ولبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء، وجلس في الديوان فتقدم الوزير وقبل الأرض بين يديه وقال له: أي شيء حصل؟ فحكى له جميع ما وقع وإذا بالوالي طالع وفي ركابه أحمد قمامم السراق، فوجد الخليفة في غيظ عظيم، فلما نظر الخليفة إلى الوالي قال له: يا أمير خالد كيف حال بغداد؟ فقال له: سالمة أمينة، فقال له: تكذب فقال له: لأي شيء يا أمير المؤمنين؟ فقص عليه القصة وقال له: ألزمتك أن تجيء بذلك كله فقال له: يا أمير المؤمنين دود الخل منه فيه ولا يقدر غريب أن يصل إلى هذا المحل أبداً، فقال: إن لم تجيء لي بهذه الأشياء قتلتك، فقال له: قبل أن تقتلني أقتل أحمد قمامم السراق فإنه لا يعرف الحرامي والخائن إلا مقدم الدرك فقام أحمد قمامم وقال للخليفة: شفعني في الوالي وأنا أضمن لك عهدة الذي سرق وأقص الأثر وراءه حتى أعرفه ولكن أعطني اثنين من طرف القاعة واثنين من طرف الوالي فإن الذي فعل هذا لا يخشاك ولا يخشى من الوالي ولا من غيره. فقال الخليفة: لك ما طلبت ولكن أول التفتيش يكون في سرايتي وبعدها سراية الوزير وفي سرايا رئيس الستين فقال أحمد قمامم: صدقت يا أمير المؤمنين ربما يكون الذي عمل هذه العملة واحد قد تربى في سرايا أمير المؤمنين أو في أحد من خواصه فقال الخليفة: وحياة رأسي كل من ظهرت عليه هذه العملة لا بد من قتله ولو كان ولدي ثم إن أحمد قمامم أخذ ما أراده وأخذ فرماناً بالهجوم على البيوت وتفتيشها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السابعة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد قمامم أخذ ما أراده وأخذ فرماناً بالهجوم على البيوت وتفتيشها ونزل وبيده قضيب ثلثه من الشوم وثلثه من النحاس وثلثه من الحديد والفولاذ وفتش سرايا الخليفة وسرايا الوزير جعفر ودار على بيوت الحجاب والنواب إلى أن مر على بيت علاء الدين أبي الشامات فلما سمع الضجة علاء الدين قام من عند ياسمين زوجته وفتح الباب فوجد الوالي في كوكبة فقال له: ما الخبر يا أمير خالد؟ فحكى له جميع القضية فقال علاء الدين: أدخلوا بيتي وفتشوه. فقال الوالي: العفو يا سيدي أنت أمين وحاشا أن يكون الأمين خائناً فقال له: لا بد من تفتيش بيتي فدخل الوالي والقضاة والشهود وتقدم أحمد قمامم إلى داره أرض القاعة وجاء إلى الرخامة التي دفن تحتها الأمتعة وأرعى القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة وإذا بشيء ينور تحتها فقال المقدم: باسم الله ما شاء الله على بركة قدمونا انفتح لنما كنز

وأريد أن أنزل إلى هذا المطلب وأنظر ما فيه. فنظر القاضي والشهود إلى ذلك المحل فوجدوا الأمتعة بتمامها فكتبوا ورقة مضمونها أنهم وجدوا الأمتعة في بيت علاء الدين ثم وضعوا في تلك الورقة ختمهم وأمروا بالقبض على علاء الدين وأخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ماله ورزقه في قائمة وقبض أحمد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت أحسن حالاً من علاء الدين وأعطاها لأمه وقال لها: سلميتها لخاتون امرأة الوالي فأخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالي فلما رآها حبطلم بظاظة جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحاً شديداً وتقرب إليها فسحبت خنجرها من حياصتها وقالت له: ابعد عني وإلا أقتلك وأقتل نفسي فقالت لها أمه خاتون: يا عاهرة خلي ولدي يبلغ منك مراده؟ فقالت لها: يا كلبه في أي مذهب يجوز للمرأة أن تتزوج باتنين وأي شيء أوصل الكلاب أن تدخل في مواطن السباع؟ فزاد بالولد الغرام وأضعفه الوجد والهيام وقطع الزاد ولزم الوساد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثامنة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن حبطلم بظاظة قطع الزاد ولزم الوساد فقالت لها امرأة الوالي: يا عاهرة كيف تحسريني على ولدي لا بد من تعذيبك وأما علاء الدين فإنه لا بد من شنقه فقالت لها: أنا أموت على محبته فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصبغة وثياب الحرير وألبستها لباساً من الخيش وقميصاً من الشعر وأنزلتها في المطبخ وعملتها من الجوارى الخدمة وقالت لها: جزاؤك أنك تكسرين من الحطب وتكسرين البصل وتحطين النار تحت الحلل، فقالت لها: أرضى بكل عذاب وخدمة ولا أرضى رؤية ولدك فحنن الله عليها فلوب الجوارى وصرت يتعاطين الخدمة عنها في المطبخ. هذا ما كان من أمر ياسمين.

و أما ما كان من أمر علاء الدين أبي الشامات فأنهم أخذوه هو وأمتعة الخليفة وساروا به إلى أن وصلوا إلى الديوان، فبينما الخليفة جالساً على الكرسي وإذا هم طالعون بعلاء الدين ومعه الأمتعة فقال الخليفة: أين وجدتموها؟ فقالوا له: في وسط بيت علاء الدين أبي الشامات فامتزج الخليفة بالغضب وأخذ الأمتعة فلم يجد المصباح فقال الخليفة: أين المصباح؟ فقال له علاء الدين: أنا ما سرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معي خبر فقال له: يا خائن كيف أقربك إلي وتبعدي عنك وأستأمنك وتخونني ثم أمر بشنقه فنزل به الوالي والمنادي ينادي عليه: هذا جزء من يخون الخلفاء الراشدين فاجتمع الخلائق عند المشنقة. هذا ما كان من أمر علاء الدين. و أما ما كان من أمر أحمد الدنف كبير علاء الدين فإنه كان قاعداً هو وأتباعه على بستان فبينما هم جالسون في حظ وسرور وإذا برجل سقاء من السقاليين في الديوان دخل عليهم وقبل يد أحمد الدنف وقال: يا مقدم أحمد يا دنف أنت قاعد في صفاء الماء تحت رجلك وما عندك علم بما حصل؟ فقال له أحمد الدنف: ما الخبر؟ فقال السقاء إن ولدك في عهد الله علاء الدين نزلوا به إلى المشنقة، فقال الدنف: ما عندك من الحيلة يا حسن شومان؟ فقال له: أستغرب هذا الأمر وهذا ملعوب عليه من واحد عدو فقال له: ما الرأي عندك؟ فقال: خلاصه علينا إن شاء المولى ثم إن حسن شومان ذهب إلى السجن وقال للسجان: أعطنا واحداً يكون مستوجباً للقتل فأعطاه واحداً وكان شبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات فغطى رأسه وأخذ أحمد الدنف بينه وبين علي الزبيق المصري وكانوا قدموا علاء الدين إلى الشنق فتقدم الدنف وحط رجله على رجل المشاعلي فقال له المشاعلي: أعطني الوسع حتى أعمل صنعتي فقال له: يا لعين خذ هذا الرجل واشنقه موضع علاء الدين أبي الشامات فإنه مظلوم وانفدى إسماعيل بالكبش فأخذ علي المشاعلي ذلك الرجل وشنقه عوضاً عن علاء الدين ثم إن أحمد الدنف وعلي الزبيق المصري أخذوا علاء الدين وساروا به إلى قاعة أحمد الدنف فلما دخلوا عليه قال له علاء الدين: جزاك الله خيراً يا كبيراً فقال له أحمد الدنف: ما هذا الفعل الذي فعلته؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التاسعة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف قال لعلاء الدين: ما هذا الفعل الذي فعلته؟ ورحم الله من قال: من ائتمك فلا تخونه ولو كنت خائناً والخليفة مكثك عنده وسماك بالثقة الأمين، كيف تفعل معه هكذا وتأخذ أمتعه؟ فقال علاء الدين: والاسم الأعظم يا كبيراً ما هي عملي ولا لي فيها ذنب ولا أعرف من عملها، فقال أحمد الدنف: إن هذه العملة ما عملها إلا عدو ميبين ومن فعل شيئاً يجازي به ولكن يا علاء الدين أنت ما بقي لك إقامة في بغداد فإن الملوك لا تعادي يا ولدي ومن كانت الملوك في طلبه يطول تعبها؟ فقال علاء الدين: أين أروح يا كبيراً؟ فقال له: أنا أوصلك إلى الإسكندرية فإنها مباركة وعنتها خضراء وعيشها هنيئة فقال له: سمعاً وطاعة يا كبيراً فقال أحمد الدنف لحسن شومان: خل بالك وإذا سأل عني الخليفة فقل له: أنه راح يطوف على البلاد ثم أخذه وخرج من بغداد ولم يزل سائرين حتى وصلا إلى الكروم والبساتين فوجدا يهوديين من عمال الخليفة راكبين على بغلتين فقال أحمد الدنف لليهوديين: هاتوا الغفر فقال اليهوديان: نعطيك الغفر على أي شيء؟ فقال لهما؟ أنا غفير هذا الوادي فأعطاه كل منهما مائة دينار وبعد ذلك قتلها أحمد الدنف وأخذ البغلتين في خان وباتا فيه. و لما أصبح الصباح باع علاء الدين بغلته وأوصى البواب على بغلة أحمد الدنف ونزل في مركب من مينة إياس حتى وصلا إلى الإسكندرية فطلع أحمد الدنف ومعه علاء

الدين ومشيا في السوق وإذا بدلال يدلل على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين ديناراً فقال علاء الدين: علي بألف فسمح له البائع وكانت لبيبت المال فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلاً فيه قلاع وصواري وحبال وصناديق وأجرة ملانة خرزاً وودعاً وركابات وأطياراً ودبابيس وسكاكين ومقصات وغير ذلك لأن صاحبه كان سقطياً.

فقعد علاء الدين أبي الشامات في الدكان وقال له أحمد الدنف: يا ولدي الدكان والطبقة وما فيهما صارت ملكك فاقعد فيها وبع واشتري ولا تتكر فإن الله تعالى بارك في التجارة وأقام عنده ثلاثة أيام واليوم الرابع أخذ خاطره وقال له: استقر في هذا المكان حتى أروح وأعود إليك بخبر من الخليفة بالأمان عليك وأنظر الذي عمل معك هذا الملعوب ثم توجه مسافراً حتى وصل إلى إياس فأخذ البغلة من الخان وسار إلى بغداد فاجتمع بحسن شومان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة العاشرة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف اجتمع بحسن شومان واتباعه وقال: يا حسن هل الخليفة سأل عني؟ فقال: ولا خطرت على باله فقام في خدمة الخليفة وصار يستنشق الأخبار فرأى الخليفة التفت إلى الوزير جعفر يوماً من الأيام وقال له: انظر يا وزير هذا العملة التي فعلها معي علاء الدين، فقال له: يا أمير المؤمنين أنت جازيته بالشنق وجزاؤه ما حل به، فقال له: يا وزير مرادي أن أنزل وأنظره وهو مشنوق، فقال الوزير: افعل ما شئت يا أمير المؤمنين.

فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر إلى جهة المشنقة ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين فقال الخليفة: هذا ما هو علاء الدين فقال له: كيف عرفت أنه غيره؟ فقال: إن علاء الدين كان قصيراً وهذا طويل فقال له: إن المشنوق يطول، فقال إن علاء الدين كان أبيض وهذا وجهه أسود فقال له: أما تعلم يا أمير المؤمنين أن الموت له غبرات؟ فأمر بتنزيله من فوق المشنقة فلما أنزلوه وجد مكتوباً على كعبه الاثنان اسما الشيخين فقال له: يا وزير إن علاء الدين كان سنياً وهذا رافضي فقال له: سبحان الله علام الغيوب ونحن لا نعلم هل هذا علاء الدين أو غيره فأمر الخليفة بدفنه وصار نسياً منسياً. هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر حبظلم بظاظة ابن الوالي فإنه قد طاب به العشق والغرام حتى مات وواروه في التراب. وأما ما كان من أمر الجارية ياسمين فإنها وفت حملها ولحقها الطلق فوضعت ذكراً كأنه القمر فقالت لها الجواري: ما تسميه؟ فقالت: لو كان أبوه طيباً كان سماه ولكن أنا أسميه أصلان، ثم إنها أرضعته اللبن عامين متتابعين وفطمته وحبي ومشى فاتفق أن أمه اشتغلت بخدمة المطبخ يوماً من الأيام فمشى الغلام ورأى سلم فقعد فطلع عليه وكان الأمير خالد الوالي جالساً فأخذه وأقعد في حجره وسبح مولاه فيما خلق وصور وتأمل وجهه فرأه شبه النوايا بعلاء الدين أبي الشامات، ثم إن أمه ياسمين فتشفت عليه فلم تجده فطلعت المقعد فرأت الأمير خالد جالساً والولد في حجره يلعب وقد ألقى الله محبة الولد في قلب الأمير خالد. فالتفت الولد فرأى أمه فرمى نفسه عليها فزقه الأمير خالد في حضنه وقال لها: تعالي يا جارية فلما جاءت قال لها هذا الولد ابن من؟ فقالت له: هذا ولدي وثمرة فؤادي فقال لها: ومن أبوه؟ فقالت له: أبوه علاء الدين أبي الشامات والآن صار ولدك فقال لها: إن علاء الدين كان خائناً فقالت: سلامته من الخيانة حاشا وكلا أن يكون الأمين خائناً فقال لها: إذا كبر هذا الولد ونشأ وقال: من أبي؟ فقول لي: أنت ابن الأمير خالد الوالي صاحب الشرطة فقالت سمعاً وطاعة. ثم إن الأمير خالد طاهر الولد ورباه وأحسن تربيته وجاء له بفقهي خطاط فعلمه الخط والقراءة فقرأ وأعاد وختم وصار يقول للأمير خالد: يا ولدي وصار الوالي يعمل في الميدان ويجمع الخيل وينزل يعلم الولد أرباب الحرب ومقاصد الطعن والضرب إلى أن انتهى في الفروسية وتعلم الشجاعة وبلغ من العمر أربع عشرة سنة ووصل إلى درجة الإمارة. فاتفق أن أصلان اجتمع مع أحمد قماقم السراق يوماً من الأيام وصارا أصحاباً فتبعه إلى الخمارة وإذا بأحمد قماقم السراق أطلع المصباح الجوهر الذي أخذه من أمتعة الخليفة وحطه قدامه وتناول الكأس على نوره وسكر فقال له أصلان: يا مقدم أعطني هذا المصباح فقال له: ما أقدر أن أعطيك إياه فقال له: لأي شيء؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الحادية عشرة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أصلان قال لأحمد قماقم: لأي شيء؟ فقال له: لأنه راحت على شأنه الأرواح فقال له: أي روح راحت على شأنه؟ فقال له: كان واحد جاءنا هنا وعمل رئيس الستين يسمى علاء الدين أبي الشامات ومات بسبب ذلك فقال له: وما حكايته وسبب موته؟ فقال له: كان لك أخ يسمى حبظلم بظاظة وبلغ من العمر ستة عشرة عاماً حتى استحق الزواج وطلب أبوه أن يشتري له جارية وأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها وأعلمه بضعف حبظلم بظاظة وما وقع لعلاء الدين ظلماً. فقال أصلان في نفسه: لعل هذه الجارية ياسمين أمي وما أبي إلا علاء الدين أبي الشامات فطلع الولد أصلان من عنده حزينا فقابل المقدم أحمد الدنف فلما رآه أحمد الدنف قال: سبحان من لا شبيه له فقال له حسن شومان: يا كبير من أي شيء تتعجب؟ فقال له: من خلقه هذا الولد أصلان فإنه أشبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات

فنادى أحمد الدنف وقال: يا أصلان فرد عليه فقال له: ما سام أمك؟ فقال له تسمى الجارية ياسمين فقال له: يا أصلان طب نفساً وقر عيناً فإنه ما أبوك إلا علاء الدين أبي الشامات ولكن يا ولدي ادخل على أمك واسألها عن أبيك فقال سمعاً وطاعة.

ثم دخل على أمه وسألها فقالت له: أبوك الأمير خالد فقال لها: ما أبي إلا علاء الدين أبي الشامات فبكت أمه وقالت له: من أخبرك بهذا يا ولدي؟ فقال المقدم أحمد الدنف أخبرني بذلك فحككت له جميع ما جرى وقالت له: يا ولدي قد ظهر الحق واختفى الباطل واعلم أن أباك علاء الدين أبي الشامات إلا أنه ما رباك إلا الأمير خالد وجعلك ولده، فيا ولدي إن اجتمعت بالمقدم أحمد الدنف قل له: يا كبير ي سألته بالله أن تأخذ ثأري من قاتل أبي علاء الدين أبي الشامات، فطلع من عندها وسار.

و أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثانية عشرة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أصلان طلع من عند أمه وسار إلى أن دخل على المقدم أحمد الدنف وقبل يده، فقال له: ما لك يا أصلان؟ فقال له: إني عرفت وتحققت من أن أبي علاء الدين أبي الشامات ومرادي أنك تأخذ لي ثأري من قاتله فقال له: من الذي قتل أباك؟ فقال له: أحمد قمام السراق، فقال له: ومن أعلمك بهذا الخبر؟ فقال له: رأيت معه المصباح الجوهر الذي ضاع من جملة أمتعة الخليفة وقلت له أعطني هذا المصباح فما رضي وقال لي: هذا راحت على شأنه الأرواح وحكى لي أنه هو الذي نزل وسرق الأمتعة ووضعها في دار أبي فقال له أحمد الدنف: إذا ما رأيت الأمير خالد يلبس ثياب الحرب فقل له: ألبسني مثلك فإذا طلعت معه وأظهرت باباً من أبواب الشجاعة قدام أمير المؤمنين فإن الخليفة يقول لك تمن علي يا أصلان فقل له أتمنى عليك أن تأخذ ثأري من قاتله فيقول لك أباك حي وهو الأمير خالد فقل له: إن أبي علاء الدين أبي الشامات وخالد الوالي له علي حق التربية فقط وأخبره بجميع ما وقع بينك وبين أحمد قمام السراق وقل له: يا أمير المؤمنين أوامر بتفتيشه وأنا أخرجه من جيبه فقال له: سمعاً وطاعة. ثم طلع أصلان فوجد المير خالد يتجه إلى طلوعه ديوان الخليفة فقال له: مرادي أن تلبسني لباس الحرب مثلك وتأخذني معك إلى ديوان الخليفة فألبسه وأخذه معه إلى الديوان ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلع بالأكرة والصولجان منهم فصار الفارس يضرب الأكرة وبالصولجان فيردها عليه الفارس الثاني وكان بين العسكر واحد جاسوس مغربي على قتل الخليفة فأخذ الأكرة وضربها بالصولجان وحررها على وجه الخليفة وإذا بأصلان استلقاها عن الخليفة وضرب بها راميها فوقعت بين أكتافه فوقع على الأرض فقال الخليفة: بارك الله فيك يا أصلان. ثم نزلوا على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسي وأمر الخليفة بإحضار الذي ضرب الأكرة فلما حضر بين يديه قال له: من أغراك على هذا الأمر وهل أنت عدو أم حبيب؟ فقال له: أنا عدو وكنت مضمّر قتلك فقال: ما سبب ذلك أما أنت مسلم؟ فقال: لا وإنما أنا رافضي فأمر الخليفة بقتله وقال لأصلان: تمن علي فقال له: أتمنى عليك أن تأخذ لي ثأري من قاتله فقال له: إن أباك حي وهو واقف على رجليه فقال له: من هو أبي؟ فقال له: الأمير خالد الوالي فقال له: يا أمير المؤمنين ما هو أبي إلا في التربية وما والدي إلا علاء الدين أبي الشامات. فقال له: إن أباك كان خائناً فقال: يا أمير المؤمنين المؤمنين حاشا أن يكون الأمين خائناً وما الذي خانك فيه؟ فقال: سرق بدلتني وما معها فقال: يا أمير المؤمنين حاشا أن يكون أبي خائناً ولكن يا سيدي لما عدمت بدلتك وعادت إليك هل رأيت المصباح رجع إليك أيضاً؟ فقال: ما وجدناه فقال أنا رأيت مع أحمد قمام السراق وطلبت منه فلم يعطني إياه وقال: هذا راحت عليه الأرواح وحكى لي عن ضعف حظلم بظاظة ابن الأمير خالد الوالي وعشقه للجارية ياسمين وخلصه من القيد وأنه هو الذي سرق البدلة والمصباح وأنت يا أمير المؤمنين تأخذ لي بثأري والدي من قاتله فقال الخليفة: أقبضوا على أحمد قمام فقبضوا عليه وقال: أين المقدم أحمد الدنف فحضر بين يديه فقال الخليفة: فتنش قمام فحط يديه في جيبه فأطلع منه المصباح الجوهر.

فقال الخليفة: تعال يا خائن من أين لك هذا المصباح؟ فقال اشتريته يا أمير المؤمنين، فقال الخليفة: من أين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك؟ وضربوه فأقر أنه هو الذي سرق البدلة والمصباح فقال له الخليفة: لأي شيء تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين أبا الشامات وهو الثقة الأمين؟ ثم أمر الخليفة بالقبض عليه وعلى الوالي فقال الوالي: يا أمير المؤمنين أنا مظلوم وأنت أمرتني بشنقه ولم يكن عندي خبر بهذا الملعوب، فإن التدبير كان بين العجوز وأحمد قمام وزوجتي وليس عندي خبر وأنا في جبرتك يا أصلان فتشفع فيه أصلان عند الخليفة، ثم قال: يا أمير المؤمنين ما فعل الله بأم هذا الولد فقال له: عندي فقال: أمرتك أن تأمر زوجتك أن تلبسها بدلتها وصيغتها وتردها إلى سيادتها، وإن لم تفك الختم الذي على بيت علاء الدين وتعطي ابنه رزقه وماله، فقال: سمعاً وطاعة.

ثم نزل الوالي وأمر امرأته فألبستها بدلتها وفك الختم عن بيت علاء الدين وأعطى أصلاً المفاتيح، ثم قال للخليفة: تمن علي يا أصلاً فقال له: تمنيت عليك أن تجمع شملي بأبي فبكي الخليفة وقال: الغالب أن أباك هو الذي شق ومات ولكن وحياء جدودي كل من بشرني بأنه على قيد الحياة أعطيته جميع ما يطلبه فتقدم أحمد الدنف وقيل الأرض بين يديه وقال له: أعطني الأمان يا أمير المؤمنين فقال له: عليك الأمان. فقال: أبشرك أن علاء الدين أبا الشامات، الثقة الأمين طيب على قيد الحياة فقال له: ما الذي تقوله؟ فقال له: وحياء رأسك إن كلامي حق وفديته بغيره ممن يستحق القتل وأوصلته إلى الإسكندرية، وفتحت له دكان سقطي فقال الخليفة: ألزمتك أن تجيء به. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لأحمد الدنف: ألزمتك أن تجيء به فقال سمعاً وطاعة فأمر الخليفة بعشرة آلاف دينار، وسار متوجهاً إلى الإسكندرية. هذا ما كان من أمر أصلاً. و أما ما كان من أمر والده علاء الدين أبي الشامات فإنه باع ما كان في الدكان كله جميعه ولم يبق في الدكان إلا القليل وجراب قديم، فنفض الجراب فنزلت منه خرزة تملأ الكف في سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها أسماء وطلاسم كدبيب النمل فدعك الخمسة وجوه فلم يجاوبه أحد فقال في نفسه: لعلها خرزة من جزع ثم علقها في الدكان وإذا بقتل فانت في الطريق فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة على دكان علاء الدين وقال له: يا سيدي هل هذه الخرزة للبيع فقال له جميع ما عندي للبيع فقال له: أتبيعني إياها بثمانين ألف دينار؟ فقال علاء الدين: يفتح الله فقال له: أتبيعها بمائة ألف دينار؟ فقال: بعته لك بمائة ألف دينار فانقذني الدنانير، فقال له القتل: ما أقدر أن أحمل ثمنها معي والإسكندرية فيها حرامية وشرطية فأنت تروح معي إلى مركبي وأعطي لك الثمن ورزمة صوف أنجوري ورزمة أطلس ورزمة قطيفة ورزمة خوخ، فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد أن أعطاه الخرزة وأعطى المفاتيح لجاره وقال له: خذ هذه المفاتيح عندك أمانة حتى أروح إلى المركب مع هذا القتل وأجيء بثمن خرزتي فإن عوقت عنك وورد المقدم أحمد الدنف الذي كان وطنني في هذا المكان فأعطه المفاتيح وأخبره بذلك.

ثم توجه مع قنصل إلى المركب فلما نزل إلى المركب فلما نزل به المركب نصب له كرسيًا وأجلسه عليه وقال: هاتوا المال: فدفع الثمن والخمس رزم التي وعده بها، وقال له: يا سيدي أقصد جبري بلقمة أو شربة ماء فقال: إن كان عندك ماء فاسقني فأمر بالشرابيات فإذا بنج فيها فلما شرب انقلب على ظهره، فرفعوا الكراسي وحطوا المداري وحلوا القلوع وأسعفته الرياح حتى وصلوا إلى وسط البحر فأمر القبطان بطلوع علاء الدين من الطنبر فطلعوه وشموه ضد البنج ففتح عينيه وقال: أين أنا؟ فقال له: أنت معي مربوط وديعة ولو كنت تقول يفتح الله لكنت أزيدك فقال له علاء الدين: ما صناعتك؟ فقال له: أنا قبطان ومرادي أن أخذك إلى حبيبة قلبي، فبينما هما في الكلام وإذا بمركب فيها أربعون من تجار المسلمين فطلع القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلايب في مراكبهم ونزل هو ورجاله فنهبوا وأخذوها وساروا بها إلى مدينة جنوة فأقبل القبطان الذي معه علاء الدين إلى باب قصر قيطون وإذا بصبية نازلة وهي ضاربة لثاماً فقالت له: هل جئت بالخرزة وصاحبها؟ فقال لها: جئت بهما فقالت له: هات الخرزة فأعطها لها وتوجه إلى الميناء وضرب مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان، فخرج إلى مقابلته وقال له: كيف كانت سفرتك؟ فقال له: كانت طيبة جداً وقد كسبت فيها مركباً واحداً وأربعون من تجار المسلمين، فقال له: أخرجهم إلى المدينة فأخرجهم في الحديد ومن جملتهم علاء الدين. وركب الملك هو والقبطان وأمشوهم قدامهم إلى أن وصلوا إلى الديوان وقدموا أول واحد. فقال له الملك من أين يا مسلم فقال من الإسكندرية فقال يا سياف اقتله فرمى رقبته والثاني والثالث هكذا إلى تمام الأربعين وكان علاء الدين في آخرهم فشرب حسرتهم، وقال لنفسه رحمة الله عليك يا علاء الدين فرغ عمرك فقال له الملك وأنت من أي البلاد، فقال من الإسكندرية فقال السياف أرم عنقه فرفع السياف يده بالسياف وأراد أن يرمي رقبة علاء الدين وإذا بعجوز ذات هيئة تقدمت بين أيادي الملك فقام إليها تعظيماً لها. فقالت يا ملك الزمان أما قلت لك لما يجيء القبطان بالأسارى تذكر الدير بأسيرين يخدمان في الكنيسة فقال لها: يا أمي ليبتك سبقت بساعة ولكن خذي هذا الأسير الذي فضل. فالتفتت إلى علاء الدين وقالت له: هل أنت تخدم في الكنيسة أو أخلي الملك يقتلك فقال لها أنا أخدم في الكنيسة فأخذته وطلعت به من الديوان وتوجهت إلى الكنيسة فقال لها علاء الدين: ما أعمل من الخدمة فقالت له: تقوم في الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسير بها إلى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجيء به إلى مطبخ الدير وبعد ذلك تلم البسط وتكنس وتمسح البلاط وترد الفرش مثل ما كان وتأخذ نصف إردب قمح وتغربه وتطحنه وتعمله منينات للدير وتأخذ وجبة عدس تغربلها وتدشها وتطبخها ثم تملأ الأربع فساقى ما وتحول بالبرميل وتملأ ثلاثمائة وست وستين قطعة وتقت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لكل راهب أو بطريق قصعته فقال لها علاء الدين رديني إلى الملك وخليه يقتلني أسهل لي من هذه الخدمة فقالت له إن خدمت ووفيت الخدمة التي عليك خلصت من القتل وإن لم توف خلعت الملك يقتلك فبعد علاء الدين حامل الهم وكان في الكنيسة عشر عميان مكسحين فقال له واحد منهم هات

لي قصرية فأتى له فتغوط فيها وقال له ارم الغائط فرماه فقال له بيارك فيك المسيح يا خدام الكنيسة وإذا بالعجوز أقبلت وقالت له لأي شيء ما وفيت الخدمة في الكنيسة، فقال لها: أنا لي كم يد على عمل هذه الخدمة، فقالت له: يا مجنون أنا ما جئت بك للخدمة ثم قالت له: خذ يا ابني هذا القضيبي وكان من النحاس وفي رأسه صليب واخرج إلى الشارع فإذا قابلك والي البلد فقل له أي أدعوك إلى خدمة الكنيسة من أجل السيد المسيح فإنه لا يخالفك فخليه يأخذ القمح ويغريه ويطحنه وينخله ويخبره منينات وكل من يخالفك اضربه ولا تخف أحد، فقال سمعاً وطاعة وعمل كما قالت ولم يزل يسخر الأكاير والأصاغر مدة سبعة عشر عاماً فبينما هو قاعد في الكنيسة وإذا بالعجوز داخلة عليه فقال له: اطلع إلى خراج الدبر. فقال لها: أين أروح فقالت له: بت هذه الليلة في خمارة أو عند واحد من أصحابك فقال لها: لأي شيء تطرديني من الكنيسة فقالت له أن حسن مريم بنت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها أن تدخل الكنيسة للزيارة، ولا ينبغي أن تقعد في طريقها فامتثل كلامها وقام وأراها أنه رائح إلى خارج الكنيسة وقال في نفسه: يا هل ترى بنت الملك مثل نساننا أو أحسن منهن فأنا لا أروح حتى أتفرج عليها فاختفى في مخدع له طاقة تطل على الكنيسة.

فبينما هو ينتظر في الكنيسة وإذا ببنت الملك مقبلة، فنظر إليها نظرة أعقبته ألف حسرة لأنه وجدها كأنها البدر إذا بزغ من تحت الغمام وصحبته صبية. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما نظر إلى بنت الملك، ورأى صحبتها صبية وهي تقول لتلك الصبية أنست يا زبيدة فأمعن علاء الدين النظر في تلك الصبية فأراها زوجته زبيدة العودية التي كانت ماتت، ثم إن بنت الملك قالت لزبيدة قومي اعلمي لنا نوبة على العود، فقالت لها أنا لا أعمل لك نوبة حتى تبلغني مرادي وتفي لي بما وعدتني به.

فقالت لها ما الذي وعدتني به قالت لها: وعدتني بجمع شملي بزوجي علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين فقالت لها: يا زبيدة طيبي نفساً وقري عيناً واعلمي لنا نوبة حلاوة اجتماع شملك بزوجك علاء الدين، فقالت لها: وأين هو فقالت لها: إنه هنا في هذا المخدع يسمع كلامنا فعملت نوبة على العود ترقص الحجر الجمود فلما سمع ذلك علاء الدين هاجت بلبله وخرج من المخدع وهجم عليهما وأخذ زوجته زبيدة العودية بالحضن وعرفته فاعتنق الاثنان بعضهما ووقعا على الأرض مغشياً عليهما، فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد ونبهتهما وقالت جمع الله شملكما.

فقال لها علاء الدين على محبتك يا سيدتي ثم التففت علاء الدين إلى زوجته زبيدة العودية وقال لها: أنت قد مت يا زبيدة ودفنك في القبر فكيف حبيب وجمت إلى هذا المكان فقالت له: يا سيدي أنا ما مت وإنما اختطفني عون من أعوان الجان وطار بي إلى هذا المكان وأما التي دفنتموها فإنها جنية، وتصورت في صورتني وعملت أنها ميتة وبعدما دفنتوها شقت القبر وخرجت منه وراحت إلى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك.

و أما أنا فإني صرعت وفتحت عيني فرأيت نفسي عند حسن مريم بنت الملك وهي هذه فقلت لها: لأي شيء جمت بي إلى هنا، فقالت لي أنا موعودة بزواجي بزوجك علاء الدين أبي الشامات فهل تقبليني يا زبيدة أن أكون ضرتك ويكون لي ليلة ولك ليلة فقلت لها سمعاً وطاعة يا سيدتي ولكن أين زوجي فقالت: إنه مكتوب على جبينه ما قدره الله تعالى فمتى استوفى ما على جبينه لا بد أن يجيء إلى هذا المكان ولكن نتسلى على فراقه بالنعيمات والطرب على الآلات حتى يجمعنا الله بع فمكثت عندها هذه المدة إلى أن جمع الله شملي بك في هذه الكنيسة. ثم إن حسن مريم التففت إليه وقالت له: يا سيدي علاء الدين هل تقبلني أن أكون أهلاً وتكون بعلاً؟ فقال لها: يا سيدتي أنا مسلم وأنت نصرانية فكيف أتزوج بك؟ فقالت: حاشا الله أن أكون كافرة بل أنا مسلمة ولي ثمانية عشر عاماً وأنا متمسكة بدين الإسلام وإني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام فقال لها: يا سيدتي مرادي أن أروح إلى بلادي فقالت له: اعلم أي رأيت مكتوباً على جبينك أموراً لا بد أن تستوفيهما وتبلغ غرضك ونهنيك يا علاء الدين أنه ظهر لك ولد اسمه أصلان وهو الآن جالس في مرتبتك عند الخليفة وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً واعلم أنه ظهر الحق واختفى الباطل وربنا كشف الستر عن الذي سرق أمتعة الخليفة وهو أحمد قماقم السراق الخائن وهو الآن في السجن محبوب ومقيد واعلم أي أنا التي أرسلت إليك الخرزة ووضعته لك في داخل الجراب الذي كان في الدكان وأنا التي أرسلت القبطان وجاء لك بالخرزة واعلم أن هذا القبطان متعلق بي، ويطلب مني الوصال فما رضيت أن أمكنه من نفسي إلا إذا جمت لي بالخرزة وصاحبها وأعطيته مائة كيس وأرسلته في صفة تاجر وهو قبطان ولما قدموك إلى القتل بعد قتل الأربعين الأسارى الذين كنت معهم أرسلت إليك هذه العجوز فقال لها: جزاك الله عني كل خير.

ثم إن حسن مريم جددت إسلامها على يديه ولما عرف صدق كلامها قال لها: خبريني عن فضيلة هذه الخرزة

من أين هي فقالت له: هذه الخرزة من كنز مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج إليها وإن جدتي أم أبي كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما في الكنوز فوفقت لها هذه الخرزة من كنز فلما كبرت أنا وبلغت من العمر أربعة عشر عاماً قرأت الإنجيل وغيره من الكتب السماوية فرأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم في الأربعة كتب التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فأمنت بمحمد وأسلمت وتحققت بعقلي أنه لا يعبد بحق إلا الله تعالى وأن رب الأنام لا يرضى إلا دين الإسلام وكانت جدتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخرزة وأعلمتني بما فيها من الخمس فضائل وقيل أن تموت جدتي قال أبي: اضربي لي تحت رمل وانظري عاقبة أمري وما يحصل لي. فقالت له: إن البعيد يموت قتيلاً من أسير يجيء من الإسكندرية، فحلف أبي أن يقتل كل أسير يجيء منها وأخبر القبطان بذلك وقال له: لا بد أن تهجم على مراكب المسلمين وكل من رأيت من الإسكندرية تقتله أو تجيء به إلي، فامتثل أمره حتى قتل عدد شعر رأسه.

ثم هلكت جدتي فطلعت أنا وضربت لي تحت رمل وأضمرت ما في نفسي وقلت: يا هل من يتزوج بي؟ فظهر أنه لا يتزوج بي إلا واحد يسمى علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين فتعجبت من ذلك وصبرت إلى أن أن الأوان واجتمعت بك ثم إنه تزوج بها وقال لها: أنا مرادي أن أروح إلى بلادك فقالت له: إذا كان الأمر كذلك فتعال معي ثم أخذته وخبأته في مخدع قصرها ودخلت على أبيها فقال لها: يا ابنتي أنا عندي اليوم قبض زائد فاقعدي حتى أسكر معك فقعد ودعا بسفرة المدام وصارت تملأ وتسقيه حتى غاب عن الوجود ثم إنها وضعت له البنج في قوح فشربه وانقلب على قفاه ثم جاءت إلى علاء الدين وأخرجته من المخدع وقالت له: إن خصمك مطروح على قفاه فافعل به ما شئت فإني أسكرته وبنجته فدخل علاء الدين فرأه مبنجاً فكتفه كتيفاً وثيقاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الخامسة عشرة بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين أعطى الملك أبا حسن مريم ضد البنج فأفاق فوجد علاء الدين وابنته راكبين على صدره فقال لها: يا ابنتي أتفعلين معي هذه الفعال؟ فقالت له: إن كنت ابنتك فأسلم لأنني أسلمت وقد تبين لي الحق تبعته والباطل فاجتنبته وقد أسلمت لله رب العالمين وإني بريئة من كل دين خالف دين الإسلام في الدنيا والآخرة فإن أسلمت حياً وكرامة وإلا فقتلتك أو لما حياتك ثم نصحه علاء الدين فأبى وتمرد فسحب علاء الدين خنجراً ونحره من الوريد إلى الوريد وكتبت ورقة بصورة الذي جرى ووضعها على جبهته وأخذ ما خف حمله وغلا ثمنه وطلعا من القصر وتوجها إلى الكنيسة. فأحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذي هو منقوش عليه السرير ودعكته وإذا بسرير وضع قدمها فركبت هي وعلاء الدين وزوجته زبيدة العودية على ذلك السرير وقالت: بحق ما كتب لنا بهذه الخرزة من الأسماء والطلاسم وعلوم الأقلام أن ترتفع بنا يا سرير فارتفع بهما السرير وسارا إلى واد لا نبات فيه فأقامت الأربعة وجوه الباقية من الخرزة إلى الأسماء وقلبت الوجه المرسوم عليه السماء فنزل بهما إلى الأرض وقلبت الوجه المرسوم عليه هيئة صيوان في هذا الوادي فانتصب الصيوان وجلسوا فيه وكان ذلك الوادي أقفر لا نبات فيه ولا ماء. فقلبت الأربعة وجوه إلى السماء وقالت بحق أسماء الله تنبت هنا أشجار ويجري بجانبها بحر فنبتت الأشجار في الحال وجرى بجانبها بحر عجاج متلاطم بالأموح فتوضأ منه وصلا وشربا وقلبت الثلاثة وجوه الباقية من الخرزة إلى الوجه الذي عليه هيئة سفرة الطعام وقالت: بحق أسماء الله يمتد السماط وإذا بسماط امتد وفيه سائر الأطعمة الفاخرة فأكلا وشربا وتلذذا وطربا. هذا ما كان من أمرهما.

وأما ما كان من أمر ابن الملك فإنه دخل ينيه أباه فوجده قتيلاً ووجد الورقة التي كتبها علاء الدين فقرأها وعرف ما فيها ثم فتنش على أخته فلم يجدها فذهب إلى العجوز في الكنيسة وسألها عنها فقالت: من أمس ما رأيتهما فعدا إلى العسكر وقال لهم: الخيل يا أربابها وأخبرهم بالذي جرى فركبوا الخيل وسافروا إلى أن قربوا من الصيوان فالتفتت حسن مريم فرأت الغبار قد سد الأفطار وبعد أن علا وطار وانكشف فظهر من تحته أخوها والعسكر وهم ينادون: إلى أين تقصدون نحن وراءكم؟ فقالت الصبية لعلاء الدين: كيف ثباتك في الحرب والنزال؟ فقال لها: مثل الود في النخال فإني ما أعرف الحرب والكفاح ولا السيوف والرماح فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفراس وإذا بفراس ظهر من البر ولم يزل يضرب فيهم بالسيف إلى أن كسرهم وطردهم ثم قالت له: أتسافر إلى مصر أو الإسكندرية. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السادسة عشر بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن حسن مريم قالت: أتسافر إلى مصر أو الإسكندرية؟ فقال: إلى الإسكندرية فركبوا على السرير وعزمت فسار بهم في لحظة إلى أن نزلوا في الإسكندرية فأدخلهم علاء الدين في مغارة وذهب إلى الإسكندرية فأتاهم بثياب وألبسهم إياها وتوجه بهم إلى الدكان والطبقة ثم طلع يجيء لهم بغذاء وإذا بالمقدم أحمد الدنف قادم من بغداد فرأه في الطريق فقابلته بالعناق وسلم عليه ورحب به ثم إن المقدم أحمد الدنف بشره بولده أصلان وأنه بلغ من العمر عشرين عاماً وحكى له

علاء الدين ما جرى له من الأول إلى الآخر وأخذه إلى الدكان والطبقة فتعجب أحمد الدنف من ذلك غاية العجب وبتوا تلك الليلة. و لما أصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنها على ما معه ثم إن أحمد الدنف أخبر علاء الدين بأن الخليفة يطلبه فقال له: أنا رائح إلى مصر أسلم على أبي وأمي وأهل بيتي فركبوا السرير جميعاً وتوجهوا إلى مصر السعيدة ونزلوا في الرب الأصفر لأن بيتهم كان في تلك الحارة ودق باب بيتهم فقالت أمه: من الباب بعد فقد الأحباب؟ فقال: أنا علاء الدين فنزلوا وأخذوه بالأحضان ثم أدخل زوجته وما معه في البيت وبعد ذلك دخل وأحمد الدنف صحبته وأخذوا لهم راحة ثلاثة أيام ثم طلب السفر إلى بغداد فقال له أبوه: يا ولدي اجلس عندي. فقال: ما أقدر على فراق ولدي أصلان ثم إنه أخذ أباه وأمه معه وسافروا إلى بغداد فدخل أحمد الدنف وبشر الخليفة بقدم علاء الدين وحكى له حكايته فطلب الخليفة ملتقاه وأخذ معه ولده أصلان وقابلوه بالأحضان وأمر الخليفة بإحضار أحمد قماقم السراق فلما حضر بين يديه قال: يا علاء الدين دونك وخصمك فسحب علاء الدين السيف وضرب أحمد قماقم فرمى عنقه ثم إن الخليفة عمل لعلاء الدين فرحاً عظيماً بعد أن أحضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم ولما دخل عليها وجدها درة لم تثقب ثم جعل ولده أصلان رئيس الستين وخلع عليه الخلع السنية وأقاموا في أرغد عيش وأهنأه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات.